الفصل الأول

مفهوم القسم

وعناصره التركيبية والسياقية

المبحث الأول: مفهوم القسم عند النحاة والفقهاء والبلاغيين.

المبحث الثانى: العناصر التركيبية للقسم فى القرآن الكريم.

المبحث الثالث: العناصر السياقية وأثرها فى القسم القرآنى.

تمهيد

يضم هذا الفصل **ثلاثة مباحث** تتناول أسلوب القسم من **الناحية النظرية** للتعرف علي مفهوم القسم لغة واصطلاحا، ومفهومه عند النحاة والفقهاء والبلاغيين، ومعرفة عناصر القسم التركيبية، كما يتناول العناصر السياقية وأثرها فى القسم القرآنى، وجاء هذا الفصل فى **ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: مفهوم القسم عند النحاة والفقهاء والبلاغيين، ويتناول القسم عند النحاة، لغة واصطلاحا، والفرق بين القسم والحلف واليمين، كما يتناول حكم الحلف بغير الله، وعلاقة القسم بالتوكيد، والفرق بين القسم الاستعطافى وغير الاستعطافى، كما يتناول القسم عند الفقهاء، ومفهوم القسم عند البلاغيين، والغرض من القسم (حيث جاء الغرض من القسم لتوكيد الخبر، أو لتعظيم المقسم به، أو لتقديسه، أو للاستدلال عليه).

المبحث الثانى: العناصر التركيبية للقسم فى القرآن الكريم، ويتناول أركان أسلوب القسم، من خلال التعرف على أحرف القسم وشروط استعمالها، وما ورد منها فى القرآن الكريم وما لم يرد، كما يتناول أفعال القسم وأسماءه، وما ورد منها فى القرآن الكريم وما لم يرد، كما يتناول هذا المبحث جملة القسم الاسمية وجملة القسم الفعلية (المثبتة والمنفية)، كما يتناول جملة الجواب وأحكامها، ونوع جملة القسم وما إذا كانت إنشائية أو خبرية، وروابط جملة القسم، كما يتناول علاقة الحروف المقطعة بالقسم.

المبحث الثالث: العناصر السياقية وأثرها فى القسم القرآنى، ويتناول السياق لغة واصطلاحا، وآراء العلماء فى المراد بالسياق، وعلاقة السياق بالدلالة، وأنواع السياق، وأهميته فى فهم المعنى، واستخدام النبى - صلى الله عليه وسلم - للسياق فى فهم المعنى، والسياق عند المفسرين، والعلاقة بين السياق والتركيب.

المبحث الأول

مفهوم القسم عند النحاة والفقهاء والبلاغيين

كان العرب فى الجاهلية يقسمون باللات والعزى، ويقسمون بالبيت، أى مكة، ويقسمون بأقسام كثيرة تشريفا وتعظيما لما يقسمون به حتى جاء الإسلام وحرم هذه الأقسام، وروى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت".[1] وللقسم أهمية كبيرة فى حياة الناس، حيث يلجأون إليه فى بيعهم وشرائهم وجل معاملاتهم، فلابد من أن يكون المقسم به ما يخشى الناس الحط منه أو عدم تقديره حتى تستقيم الحياة، ومن يحنث فى قسمه فعليه الكفارة، أما وأن هذا الحديث وأحاديث أخرى تدعو إلى بر القسم فإن ذلك يدعو إلى شيء من التفصيل عن القسم لغة واصطلاحا، والتعرف على مفهومه عند النحاة والفقهاء والبلاغيين.

القسم لغة: وردت مادة (ق س م) فى اللغة بمعان عدة، منها اليمين والحلف والشهادة: "القَسْمُ: مصدر قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُه قَسْماً فانْقَسَم، والموضع مَقْسِم مثال مجلس. وقَسَّمَه: جزَّأَه، وهي القِسمةُ. والقِسْم، بالكسر: النصيب والحَظُّ، والجمع أَقْسام... والقَسَمُ، بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَمُ، وهو المصدر مِثْلُ المُخْرَج،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣ ، ٧، الموطأ: ٣/ ٣١٤.

والجمع أَقْسام. وقد أَقْسَم بالله واسْتَقْسَمه به وقاسَمَه حلَف له." [1]، ومن صيغ القسم فى القرآن الكريم (أَقْسَمَ – أُقْسِمُ – تَقاسَم – اقتسم – قاسم – استقسم): "أَقْسَم بالله واسْتَقْسَمه به وقاسَمَه حلَف له وتَقاسمَ القومُ تحالفوا"[2]، وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[4] أى حلف لهما، "والقسم – وجمعه أقسام – اليمين، وفعله أقسم أى حَلف **ولا يتعدى بنفسه، إنما يتعدى بثلاثة أحرف، هى واو القسم الجارة، والباء، والتاء الجارتان** فيقال أقسم والله، وأقسم بالله، وأقسم تالله." [5]

وهناك علاقة بين تسمية القسم باليمين واليد اليمنى؛ "لأن التعامل بين الناس اقتضى تحقيق الخبر وتوكيده، والبحث عمّا يطمئنون إليه، ليكونوا على ثقة بعضهم من بعض، فعبروا عن هذا التأكيد بأخذ اليمين، وهو أن يضع بعضهم يمينه على يمين الآخر، وسمي اليمين باسم يمين اليد؛ لأنهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون، وجاء في الصحاح؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرىء منهم يمينه على يمين صاحبه." [6] ولليمين علاقة بما يحدث بين العرب فى حالات القتل وتقسيم اليمين على أولياء القتيل "يقال: قتل فلان فلانا بالقسامة، أي باليمين"[7]، "وهي الأيمان التي تُقْسَمُ على الأولياء في الدم."[8]، وهناك فرقٌ بين القسم والحلف واليمين.

---

(١) لسان العرب – دار صادر، مادة (قسم): ١٢/ ٤٧٨-٤٨١.

(٢) السابق.

(٣) القلم: ١٧.

(٤) الأعراف: ٢١.

(٥) القسم فى القرآن الكريم للدكتورشوقى ضيف: ٥.

(٦) أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى والحديث الشريف: ١٦،١٧، الصحاح للجوهرى، مادة (يمن): ٧/ ٢٢٢١.

(٧) تهذيب اللغة، مادة (قسم): ٨/ ٤٢٣.

(٨) الصحاح، مادة (قسم): ٥/ ٢٠١٠.

الفرق بين القسم والحلف واليمين:

للاستعمال القرآنى خصوصيات كثيرة، منها خصوصية استعمال الحلف والقسم، حيث يأتى الحلف فى مقام الحنث باليمين، ويأتى القسم فى الأيمان الصادقة: "جاءت مادة حلف فى القرآن الكريم فى ثلاثة عشر موضعا كلها بغير استثناء فى مقام الحنث باليمين... وجاء الفعل مرة واحدة مسندا إلى الذين آمنوا، فلزمتهم كفارة الحنث باليمين ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾[1]...أما القسم فيغلب مجيئه فى الأيمان الصادقة"[2].

الحلف: (حلف) فعل من الأفعال المتعدية بحرف، فيقال: حلف بالله على كذا، أى أقسم بالله على كذا "الحِلْفُ والحَلِفُ: القَسَمُ لغتان، حَلَفَ أَي أَقْسَم يَحْلِفُ حَلْفاً وحِلْفاً وحَلِفاً ومَحْلُوفاً، وهو أَحد ما جاء من المصادر على مَفْعُولٍ مثل المَجْلُودِ والمَعْقُولِ والمَعْسُور والمَيْسُورِ، والواحدة حَلْفةٌ؛ قال امْرؤُ القيس:

حَلَفْتُ لَهَا باللهِّ حَلْفَةَ فاجِرٍ لَنامُوا فما إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولا صالي[3]

ويقولون: مَحْلُوفةً باللهّ ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يَحْلِفُ باللهّ مَحْلُوفةً أَي قَسَماً، والمحلوفةُ هو القَسَمُ،...ورجل حالِفٌ وحَلاَّفٌ وحَلاَّفةٌ: كثير الحَلِفِ. وأَحْلَفْتُ الرجُلَ وحَلَّفْتُه واسْتَحْلفته بمعنًى واحد، ومثله أَرْهَبْتُه واسْتَرْهَبْتُه، وقد اسْتَحْلَفَه باللهّ ما فَعَلَ ذلك وحَلَّفَه وأَحْلَفَه." [4]، ويأتى الحلف بمعان مختلفة، منها **القسم**، كما فى البيت السابق، **ويأتى بمعنى العهد:** "والحِلف بالكسر: العهد يكون بين القوم. وقد حالفه، أي عاهده. وتحالفوا، أي تعاهدوا." [5] واحده (حَلْفة) ومصدره (محلوف) على وزن مفعول بمعنى القسم: "الواحدة حَلْفة ويقال: مَحْلُوفةً

---

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) التفسير البيانى للقرآن الكريم: ١ / ١٦٧ ، ١٦٨، وذكرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن شواهد قرآنية على الفرق بين المعنيين فى القرآن الكريم.

(٣) ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٢ بحر الطويل، والصالى: المستدفئ بالنار.

(٤) لسان العرب(دار صادر) مادة (حلف): ٩/ ٥٣.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ١٣٤٦.

بالله ما قال ذاكَ يُنصبُ على ضمير يحلف بالله محلوفةً أي قَسَماً فالمحلوفة هي القَسَم."[1] **ويأتى بمعنى الملازمة،** "كل شيءٍ لَزِمَ شيئًا لم يفارقَه حَليفِه، حتى يقال: فلانٌ حليف الجود وحليف الإكثار وحليف الإقلال."[2] ورجل حلَّاف، أى كثير الحلف وهى صفة مذمومة: "(حَلاَّفٍ) كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف."[3]، "ورجل حالف وحلاف وحلافة كثير الحلف."[4] وقد نهى الله – عز وجل – عن إطاعة الحلَّاف ووصفه بالمهين فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[5] وقد ورد هذا الفعل فى القرآن الكريم **ثلاث عشرة مرة بصيغتى المضارع والماضى فقط، وبصيغة المبالغة مرة واحدة كما يأتى:**

أولا: ورود الحلف بصيغة المضارع فى القرآن الكريم: ورد ذلك للدلالة على معان معينة، منها التأكيد على حال المنافقين فى مداومة الحلف، حيث جاء الفعل بصيغة المضارع (يحلفون) الدال على الاستمرار والتجدد فى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾[6]. "يحلفون: حال من فاعل جاءوك، و"إن" نافية، أي ما أردنا"[7].

ثانيا: ورود الحلف بصيغة الماضى فى القرآن الكريم: وقد جاءت هذه الصيغة فى قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ

---

(١)كتاب العين للخليل: ٣/ ٢٣١.

(٢)السابق: ٢٣٢.

(٣)الكشاف: ٦ / ١٨٢.

(٤)المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: (باب الحاء واللام والفاء) ٣ / ٢٦٠، والمفردات فى غريب القرآن: ١٧٠.

(٥)القلم: ١٠.

(٦)النساء: ٦٢.

(٧)اللباب فى علوم الكتاب: ٦/ ٤٥٩، ومن الملاحظ أن صيغة المضارع (يحلف) وردت إحدى عشرة مرة فى عشر آيات، منها سبع مرات فى سورة التوبة، وهى سورة مدنية؛ لخصوصية هذه السورة فى الحديث عن المنافقين وهتك أستارهم، وهذه المواضع هى، فى سورة النساء: ٦٢ ، وسورة التوبة: ٤٢، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٧، وسورة المجادلة: ١٤، ١٨.

ٱلْأَيْمَٰنَ ۚ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] جاء الحلف بصيغة الماضى.

ثالثا: ورود الحلف بصيغة المبالغة فى القرآن الكريم: جاءت هذه الصيغة على وزن (فعال) فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[2]، "فجعل الحلف من الخلال المذمومة." [3] ووصف المكثر من الحلف بأنه مهين كى لا يستهين أحد بالحلف.

اليمين: تأتى بمعنى من معانى القسم، ومن معانى اليمين فى المعاجم العربية (اليد اليمنى – اليمن عكس الشؤم – القوة والحق – الدِّين، ومن ذلك ما قيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾[4] "أي: من قبل الدين فتضلوننا عنه [وتروننا أن الدين ما تضلوننا به]، قاله الضحاك. وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، كما أخبر الله تعالى عن إبليس:﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[5] فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق. وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمعنى قوله: "تأتوننا عن اليمين" أي: من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها. وقيل: "عن اليمين" أي: عن القوة والقدرة، كقوله:﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾[6]، والمفسرون على القول الأول"[7]. وتأتى اليمين بمعنى البركة "وأما قوله تعالى:﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ

---

(١)المائدة: ٨٩.

(٢)القلم: ١٠.

(٣)إمعان فى أقسام القرآن: ٤.

(٤)الصافات: ٢٨.

(٥)الأعراف: ١٧.

(٦)الحاقة: ٤٥.

(٧) تفسير البغوى (معالم التنزيل): ٧ / ٣٨.

ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾[1] ففيه أقاويل: إحداها: بيمينه؛ وقيل: بالقوة؛ وقيل: وبيمينه التي حلف حين قال: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2] وكان العرب قديما يحلفون بـ (يمين الله) كما فى قول امرئ القيس:

فقلــت يمـينُ الله أبـرح قاعـدا ولو قطَّعوا رأسى لديك وأوصالى

حَلفــتُ لهـا بالله حَلْفـة فاجــرٍ لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صالِ[3]

"واليَمِينُ الحَلِفُ والقَسَمُ أُنثى والجمع أَيْمُنٌ وأَيْمان ... وايمن اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين." [4]وورد معنى اليمين فى القرآن فى مواضع مختلفة وهى مستعارة من اليد: "اعتبارًا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[5] ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾[6] ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾[7] ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾[8] ﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾[9] وقولهم يمين الله فإضافته إليه عز وجل هو إذا كان الحلف به."[10]

وكان العرب يخافون اليمين الكاذبة لأنها تدع الديار بلاقع، أى يفتقر الحالف، ويذهب ما في بيته من الخير والمال، سوى ما ذُخِر له في الآخرة من الإثم، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ليس شىء أطيع الله

---

(١)الصافات: ٩٣.

(٢)تهذيب اللغة : ١٥/ ٥٢٤.

(٣)ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:٣٢ ، والبيت من بحر الطويل، والصالى: المستدفئ بالنار.

(٤)لسان العرب (دار صادر)، مادة يمن: ١٣ / ٤٥٨.

(٥)القلم: ٣٩.

(٦)النور: ٥٣.

(٧)البقرة:٢٢٥.

(٨)التوبة: ١٢.

(٩)التوبة: ١٢.

(١٠)المفردات فى غريب القرآن، مادة (يمن):٥٥٣.

فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقابا من البغى وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع"[1].

وقد يسمى الحلف يمينا، واليمين مأخوذ من اليد اليمنى: "واليمين: الحَلِف، وكلُّ ذلك من اليد اليمنى...لأن المتحالفين كأنَّ أحدهما يَصْفِقُ بيمينه على يمين صاحبه"[2]. وتجمع يمين على ايمن، وتحذف منها النون لكثرة الاستعمال فيقال: (ايم الله)، "العرب تقول: ايم الله، وهيم الله. الأصل ايمن الله وقلبت الهمزة هاء، فقيل: هيم الله. وربما اكتفوا بالميم وحذفوا سائر الحروف، فقالوا: مُ الله ليفعلن كذا"[3]. ومن الآيات التى ورد فيها اليمين بمعنى القسم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[4]كلمة اليمين هنا صريحة بمعنى القسم، وهذا نموذج آخر مختلف لليمين بمعنى القسم، فى قوله تعالى:﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾[5] فقيل إن اليمين فى هذه الآية بمعنى القسم "وأما الحلف، فإنهم يحلفون لهم ويأتونهم إتيان المقسمين على حسن ما يتبعونهم فيه"[6].

حكم الحلف بغير الله:

نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الحلف بغير الله وقال: "ألا إن الله عز

---

(١)السنن الكبرى للبيهقى – باب ما جاء فى اليمين الغموس: ١٠/ ٣٥.

(٢)معجم مقاييس اللغة: ٦ / ١٥٨ – ١٥٩.

(٣)تهذيب اللغة: ١٥/ ٥٢٦.

(٤)البقرة: ٢٢٤ – ٢٢٥.

(٥)الصافات: ٢٨.

(٦)البحر المحيط : ٧/ ٣٤٢، والدر المصون: ٩/ ٢٣٠، والكشاف: ٥ / ٣٠٦، اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٦/ ٢٥٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ٥٣٢، تفسير البغوى (معالم التنزيل): ٧/ ٣٨ وذكر البغوى أن اليمين قد تكون بمعنى الدِّين أيضا، الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للثعالبى: ٥/ ٢٧، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازى: ٢٦/ ١٣٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى: ٧/ ٥٤، التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٠٤.

وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت."[1]، فعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف على يمين، ثم رأى خيرا منها فليأت الذي هو خير."[2] وذكر الله - عز وجل - حكم الحلف بغير الله وكفارته فقال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] وهناك أقسام وردت عن العرب ولم ترد فى القرآن الكريم، لحرمة القسم بها، كالقسم باللات والعزى والآلهة التى كانوا يعبدونها وغيرها من الأقسام التى كان العرب يقسمون بها تشريفا وتعظيما للمقسم به. أما قسم الله – عز وجل - فى القرآن الكريم بخلق من خلقه **فلحكم معينة، منها:**

- **إضفاء ظل القسم على المشهد والأمر الذى يسوقه الله - عز وجل.**
- **إضفاء ظل الصورة التمثيلية التى يوحى بها المشهد القرآنى، كما فى القسم مع واو القسم الذى يجمع بين المعنى الحسى والمعنوى.**
- **ثقة المقسِم فيما يقسم عليه، سواء أكان فى الماضى أو فى الحاضر أو فى المستقبل.**
- **ذكر الدليل أو الأدلة على صدق الجواب، (السابق واللاحق منها).**

القسم اصطلاحا:

استعمل العرب القسم فى شئون حياتهم فى العهود والمواثيق والأخبار، وتعددت مصطلحاته بين النحاة والمفسرين والبلاغيين بألفاظ (القسم، والاقتسام، والحلف، واليمين، والشهادة، والألية، والنذر، والعهد، والعقد، والدعاء، والشرط). حسب كل علم كما يلى:

---

(١)صحيح مسلم: ٣/ ١٢٦٦باب النهى عن الحلف بغير بالله، الموطأ- باب جامع الأيمان: ٣/ ٣١٤.
(٢)صحيح مسلم:٣/ ١٢٧٢.
(٣)المائدة: ٨٩.

القسم عند النحاة:

أسلوب القسم من الأساليب التى تعتمد على جملتين (جملة القسم، وجملة الجواب) وهذا ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح (**الافتقار**) الذى عرفه **الدكتور تمام حسان** بقوله: "فأما الافتقار فمعناه أن لفظا ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه فى الكلام غالبا وإنما يتطلب فى حيزه لفظا آخر لا غنى له عنه. وهذه السمة المشتركة بين الألفاظ الدالة على معنى عام حقه أن يؤدى بالحرف. ويترتب على مبدأ الافتقار ألا يُستغنى بحرف الجر عن المجرور ولا بحرف العطف عن المعطوف ولا بالحروف المصدريه عن الفعل ولا بالموصول عن الصلة **وهلم جرا**. وكذلك يفتقر المحذوف إلى دليل الحذف أو إلى العوض وتفتقر جملة الصلة والنعت والحال والخبر إلى ضمير يعود إلى مرجع مذكور أو متصيد أو مدلول عليه بالسياق"[(١)]. أما الافتقار فى أسلوب القسم فهو **افتقار جملة القسم إلى جملة الجواب؛ فلا يتم المعنى فى القسم إلا بهما معًا**.

ينقسم أسلوب القسم إلى جملتين: الأولى: جملة القسم، **والثانية**: جملة جواب القسم، وهى من الجمل التى لا محل لها من الإعراب وهى الجمل التى "لا تحل محل المفرد"[(٢)]، ولا تؤول به، ومن ثم لا يقال فيها إنها فى موضع رفع، أو نصب، أو جر، أو جزم.

اختلف النحاة فى تسمية القسم فيتناوله إمام النحاة **سيبويه** تحت عنوان "هذا باب الأفعال فى القَسَم"[(٣)]، وتناول حروفه فى موضع آخر تحت عنوان "هذا باب حروف الإضافة إلى المحلوف به وسقوطها"[(٤)]، كما تناول الحروف التى يعوض بها عن حروف القسم، مثل الواو والتعويض عنها بالهاء – تناوله تحت عنوان "هذا

---

(١)الخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان: ٨٠.
(٢)مغنى اللبيب لابن هشام :٥ / ٣٩.
(٣)الكتاب: ٣/ ١٠٤.
(٤)الكتاب: ٣/ ٤٩٦.

باب ما يكون قبل المحلوف به عوضا من اللفظ بالواو." [1]، وتناوله **المبرد** تحت عنوان: "هذا باب ما يُقسَم عليه من الأفعال".[2]وتناوله **ابن عصفور** فى "شرح جمل الزجاجى" كما تناوله كثير من العلماء تحت عنوان: "باب القسم"، ودرس فى هذا الباب خمسة أشياء: "القَسَم والمقسم به والمقسم عليه وحروف القسم والحروف التى تعلق المقسم به بالمقسم عليه"[3]، ومنهم من درسه فى ستة فصول: "**أحدها**: فى القسم، **الثانى**: فى جواب القسم، **الثالث**: فى المقسم به، **الرابع**: فى حروف القسم، **الخامس**: فى جملة القسم، **السادس**: فيما جعل عوضا من القسم، وفيما جُعل عوضا من حروف القسم"[4]. وقد ذكر أشياء تأتى عوضا من القسم: "اعلم أن العرب عوضت في باب القسم في موضعين: أحدهما: التعويض من حرف القسم. الثاني: التعويض من القسم ... وأما التعويض من القسم فلفظان: **جير**، قالوا: جير لأفعلن، واختلف الناس في (جَيْرِ) فمنهم من ذهب إلى أنها حرف بمنزلة نعم لكنها لا تستعمل إلا في القِسَم. ومنهم من قال: إنها اسم بمنزلة حقًّا،... والثانى: **عَوْضُ**، وهي ظرفٌ، لأنها من أسماء الدهر"[5]. والقسم نوع من أنواع التوكيد وسموه (القسم أو الحلف أو اليمين) وذكر النحاة ألفاظا فيها معنى القسم، كشهد، وعلم وعهد. ودرسوه فى باب المجرورات، لأن حروف القسم تعمل الجر فيما بعدها.

حد القسم:

"هو مصدر ليس بجار على فعله؛ إذ قياسه: الإقسام. ويرادفه الحلف والإيلاء"[6].

---

(١)الكتاب: ٣/ ٤٩٩.

(٢)المقتضب: ٢/ ٣٣٢.

(٣)شرح جمل الزجاجى لابن عصفور: ٥٢٠.

(٤)البسيط فى شرح جمل الزجاجى لابن أبى الربيع الإشبيلى: ٩١١.

(٥)السابق: ٩٣٣، ٩٣٧.

(٦)شرح كتاب الحدود للفاكهى: ٢٩٧.

هل جملة القسم اسمية أو فعلية؟

تأتى جملة القسم اسمية أو فعلية: "والقسم إنما هو جملة من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل ويؤكد بها جملة أخرى، فمن المبتدأ والخبر، قولهم: (لعمر الله) فالمقسم به لعمر الله، فَعَمْرُ مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره قسمي"[1]. "وأما الفعل والفاعل، فقولهم: يعلمُ الله لأفعلن، وعلم الله لأفعلن، فإعرابه كإعراب: يذهبُ زيد، والمعنى: والله لأفعلن".[2]

القسم نوع من أنواع التوكيد:

أجمع النحاة على أن القسم نوع من أنواع التوكيد: "اعلم أنَّ القسم توكيد لكلامك"[3]."، وقسموه إلى صريح وغير صريح (أو ظاهر ومضمر): "إن علم بمجرد لفظه كون الناطق به مقسما، سمّى: صريحا. كأقسم بالله، وأنا حالف بالله. وإلا فغير صريح: كعاهدت الله، ونشدتك الله، وفى ذمتى ميثاق الله"[4]."، "إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك لأن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة".[5]

وتأتى جملته إنشائية أو خبرية لتأكيد جمل أخرى خبرية: "(جملة) ملفوظة – كـأقسمت بالله – أو مقدرة كـ "بالله"– إنشائية – كما ذكر – أو خبرية – كـأشهد لعمرو خارج، وعلمت لعمر داخل – اسمية – كـأنا حالف بالله – أو فعلية – كما ذكر– (جيء بها لتوكيد جملة خبرية أخرى [تالية]، غير تعجبية، اسمية، أو فعلية [ترتبط إحداها بالأخرى]" [6].واهتم البلاغيون بدراسته من حيث نوع الجملة (إنشائية أو خبرية)، وقد عرف ابن يعيش القسم فقال: "هو جملة فعلية أو اسمية

---

(١)أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ١٧.

(٢)الأصول فى النحو لابن السراج: ١/ ٤٣٤.

(٣)الكتاب: ٣/ ١٠٤.

(٤)شرح كتاب الحدود للفاكهى: ٢٩٨.

(٥)البرهان فى علوم القرآن: ٦٤٧.

(٦)شرح كتاب الحدود فى النحو للفاكهى: ٢٩٧، الجملة المحتملة للاسمية والفعلية: ٧٩، شرح الكافية الشافية: ٢/ ٨٣٤ ، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٣٠٢.

تؤكد بها جملة موجبة أو منفية نحو قولك حلفت بالله وأقسمت وآليت وعلم الله ويعلم الله ولعمرك ولعمر أبيك ولعمر الله ويمين الله وأيمن الله وأيم الله وأمانة الله وعليّ عهد لأفعلن أو لا أفعل ومن شأن الجملتين أن تتنزلا منزلة جملة واحدة كجملتى الشرط والجزاء ويجوز حذف الثانية هاهنا عند الدلالة... فالجملة المؤكد بها هي القسم والمؤكدة هي المقسم عليها والاسم الذى يلصق به القسم ليعظم به ويفخم هو المقسم به"[1]، **وقد ورد القسم فى كتب النحو فى أبواب:**

١- توكيد الفعل وجوبًا، عندما يكون الفعل جوابًا للقسم، دالا على الاستقبال، مثبتًا، متصلا بلام للقسم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[2].

٢- فى باب حذف المبتدأ وجوبًا، عندما يكون الخبر مشعرًا بالقسم، كما فى قولك: فى عنقى لأقومن بما يفرض على.

٣- فى باب حذف الخبر وجوبًا، نحو قولك: لعمرك لأفيدن علمًا[3].

الفرق بين القسم الاستعطافى وغير الاستعطافى:

يسمى القسم الذى جوابه جملة إنشائية بـ (القسم الاستعطافى، أو قسم السؤال) **وهو قليل** في أساليب القسم، وتختص به الباء من بين حروف القسم، ويسمى القسم الذى جوابه جملة إنشائية بـ (القسم غير الاستعطافى): "القسم غير الاستعطافى. ما كان جوابه جملة إخبارية مثبتة أو منفية. أما الاستعطافى فجوابه جملة إنشائية"[4]. **وهو كثير** شائع فى أساليب القسم[5]. وقيل فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[6] بأنه ما أكد به جملة طلبية أو ما كان

---

(١)شرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ٩٠.
(٢)الأنبياء: ٥٧.
(٣)ينظر من أساليب القرآن الكريم للدكتور إبراهيم السامرائى: ٤٥-٤٦.
(٤)المعجم الوافى فى أدوات النحو العربى : ٣٥٩ ، خزانة الأدب: ١٠/ ٤٧.
(٥)ينظر أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ٢٣.
(٦)القصص: ١٧.

المقسم به مشعرًا بعطف وحنو، ويستعطف به المخاطب: "والقسم الاستعطافي ما أكد به جملة طلبية نحو قولك بالله تعالى زرني وغير الاستعطافي ما أكد به جملة خبرية نحو والله تعالى لأقومن، وإلى هذا ذهب ابن الحاجب، وقيل: القسم الاستعطافي ما كان المقسم به مشعراً بعطف وحنو نحو بكرمك الشامل أنعم علي وهو صادق على ما هنا، وغير الاستعطافي ما كان المقسم به أعم من ذلك، وعلى القولين هما قسمان من مطلق القسم"[1]. وذلك فى جواز أن تكون الباء فى ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ للقسم الاستعطافى: "وجوز أن تكون الباء للقسم الاستعطافي على أنها متعلقة بفعل دعاء محذوف، وجملة فلن أكون الخ متفرعة عليه، والفاء واقعة في جواب الدعاء أو الشرط المقدر أي بحق إنعامك علي اعصمني فلم أكون الخ أو إن عصمتني فلن أكون الخ"[2].، ومن القسم الاستعطافي بالباء قول المجنون:

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها[3].

- وقيل إن القسم نوعان قسم للتوكيد وقسم للاستعطاف والسؤال[4]، فالقسم الاستعطافى ما جاءت صورته كصورة القسم، وهو غير محتمل الصدق والكذب، وحمل على أنه ليس بقسم، نحو قول الشاعر:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابنُ هِرْمَةَ واقفًا بالباب[5].

ألا ترى أنه لا يحسن هنا أن يقال: صدق ولا كذب، فلا يمكن لذلك أن يكون قسما لأن القسم لا يتصور إلا حيث يتصور الصدق والحنث، والصدق والحنث لا يتصور إلا فيما يتصور الصدق والكذب"[6].

---

(١)روح المعانى للألوسى: ٢٠/ ٥٥، خزانة الأدب: ١٠/ ٤٧.

(٢)روح المعانى للألوسى: ٢٠/ ٥٥.

(٣)شرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ١٠٢، والبيت لمجنون ليلى من ديوانه: ٢٢٢ وهو من بحر الوافر.

(٤)ينظر خزانة الأدب: ١٠/ ٤٩.

(٥)البيت لابن هرمة، خزانة الأدب: ١٠/ ٤٨، رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى :١٤٦، وشرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ١٠١ والبيت من بحر الكامل، ويعتقد الباحث أنه من القسم؛ حيث إن ابن هرمة عندما أقسم للحاجب أنه واقف بالباب لجأ إلى القسم ليؤكد لهذا الحاجب أنه بحاجة إلى الدخول لتلبية حاجته فلجأ إلى صورة من صور الإقناع، وهى القسم، وهذه الوسيلة من وسائل الإقناع هى أحد أغراض القسم.

(٦)شرح جمل الزجاجى: ١/ ٥٢٢، ٥٢١ والبيت من بحر الكامل وهو لابن هرمة فى ديوانه:٧٠،

القسم عند الفقهاء:

تناول الفقهاء والمفسرون القسم والحلف والشرط[1]، واليمين و(الشهادة والألية) فى اللعان، والنذر الذى يأخذ حكم اليمين، وإن كان (اليمين) أكثرها استعمالا عندهم؛ لأنه لفظ يدل على ما فيه المؤاخذة وتجب به الكفارة، كما فصلوا القول فى البينة والعهد "ومن المفسرين الذين تناولوا الأقسام بالتفصيل الرازى فى تفسيره (مفاتيح الغيب – التفسير الكبير)، وإن كان مجرد تناول قصير لآيات القسم المسبوق بالحروف، عند بداية تفسيره لسورة (ق)، وكذلك عند تفسيره لسورتى (الذاريات) و(الصافات). غير ما تناثر فى تفسيره عند تناول آيات القسم"[2]، وتم التعرض للعهد والحلف واليمين والشهادة، **وفيما يلى نبذة عن الإيلاء.**

الألِيَّة: الإيلاء الحلف، "الفعل آلَى يُؤْلِي إيلاءً: حَلَفَ، وتأَلَّى يَتأَلَّى تأَلِّياً وأْتَلى يَأْتَلي ائْتِلاءً. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾[3]. والإيلاء هو اليمين، حيث يمنع من جماع الرجل امرأته "وحقيقة الإيلاء والألية الحلف المقتضى لتقصير فى الأمر الذى يحلف عليه وجُعل الإيلاء فى الشرع للحلف المانع من جماع المرأة وكيفيته وأحكامه مختصة بكتب الفقه"[4]. وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] بأنه الامتناع عن وطء الرجل امرأته دون التقيد بزمان "الإيلاء هو الحلف على الامتناع من وطء امرأته مطلقاً، غير مقيد بزمان"[6].، وقيل إنه بمعنى اليمين: "وفي الشرع الامتناع باليمين من وطء الزوجة ... وقد كان الرجل في الجاهلية يحلف ألا يمس امرأته السنة، والسنتين، والأكثر من ذلك يقصد الإضرار بها، فيتركها معلقة، لا هي

ورصف المبانى: ١٤٦، خزانة الأدب: ١٠/ ٤٨، وشرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ١٠١.

(١)ومنه قول الرجل لزوجته: "إن خرجت فأنت طالق".

(٢)القسم فى القرآن الكريم – دراسة دلالية: المقدمة / جـ.

(٣)لسان العرب: ١٤/ ٤٠، والآية من سورة النور: ٢٢.

(٤)المفردات فى غريب القرآن: ٢٢، العين: ١/ ٨٢.

(٥)البقرة: ٢٢٦.

(٦)البحر المحيط: ٢/ ١٩١.

زوجة، ولا هي مطلقة فأراد الله أن يضع حدا لهذا العمل الضار فوقته بمدة أربعة أشهر"[1]. وقد وضح هذه الفترة قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ومن الآيات التى جاء فيها **الإيلاء بمعنى القسم** قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]. وقوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، ومنه قول امرئ القيس:

ويومًا عَلَى ظَهرِ الكَثيبِ تَعَذّرَتْ عَــلَيّ وآلَتْ حَلْفَــةً لم تَحَلَّلِ[5]

ثالثا: مفهوم القسم عند البلاغيين:

عبَّر البلاغيون عنه بمصطلح القسم، والاقتسام وجعلوه مرادفا للحلف: "القسم: اليمين، والجمع أقسام، وأقسمت: حلفت وأصله القسامة، والقسامة: الذين يحلفون على حقهم ويأخذون. والقسم هو الاقتسام"[6]. والقسم عندهم الحلف على ما فيه فخر أو مدح أو غيره: "وهو افتعال من قولهم اقتسم اقتساما وقاسم مقاسمةً وقاسم قِسامًا إذا حلف... وهو فى مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحلف على شىء بما فيه فخرٌ، أو مدحٌ، أو تعظيمٌ، أو تغزلٌ، أو زهوٌ، أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة فى الكلام وتحسين له"[7].، وذكر صاحب الطراز أمورًا كثيرة

---

(١)فقه السنة للسيد سابق: ٢/ ١٧٠.

(٢)البقرة: ٢٢٦.

(٣)آل عمران: ١١٨.

(٤)النور: ٢٢.

(٥)شرح المعلقات السبع للزوزنى - معلقة امرئ القيس: ١٩، والبيت من بحر الطويل، الالتواء والإيلاء والائتلاء والتألّي: الحلف، يقال: آلى وائتلى وتألّى إذا حلف، وسمى اليمين الأليَّة والألوة معا، والحلف المصدر، والحلف بكسر اللام، الاسم. الحلفة: المرة التحلل فى اليمين: الاستثناء. نصب حلفة لأنها حلت محل الإيلاء كأنه قال: وآلت إيلاء.

(٦)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣ / ١٣٦.

(٧)الطراز: ٣ / ١٥٣،١٥٤، والمصباح فى المعانى والبيان والبديع:٢٦٣،٢٦٢.

يجرى عليها الاقتسام "أولها الامتنان والفخر، فأما الامتنان فكقوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾فامتن الله تعالى وأكد امتنانه بما قرره من القسم..."[1]."

الغرض من القسم:

القسم من الأساليب التى يلجأ إليها المتكلم لأغراض معينة، منها:

١- **توكيد الخبر**؛ لأن القسم طريقة من طرق الضمان والكفالة للمقسِم على ما يقسم عليه: "اعلم أن القسم توكيد لكلامك. فإذا حلفتَ على فعلٍ غير منفى لم يقع لزمته اللامُ ولزمت اللامَ النونُ الخفيفة أو الثقيلة فى آخر الكلمة. وذلك قولك: والله لأفعلنَّ."[2]، وقد يرد (القَسَم) في القرآن الكريم بقصد بيان عظمة المقسم به، كـ(ٱلقَسَم) بالله، و(القَسَم) بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر المفسرون في أثناء تفاسيرهم جملاً من فوائد القَسَم؛ فالإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[3]، يقول: "**يحتمل أن يكون تعليماً للرسول** صلى الله عليه وسلم، أي يعلمه القسم تأكيداً لما كان يخبر عن البعث"[4]، ويؤيد الزركشي هذه الفائدة من أسلوب القَسَم، فيقول: "القَسَم إنما جيء به لتوكيد المقسم عليه فتارة يزيدون فيه للمبالغة في التوكيد وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالمحذوف."[5]

٢- **تعظيم المقسم به**: يقرر الألوسى فائدة أخرى من أسلوب القَسَم؛ وذلك أن "الإقسام بالشيء إعظام له."[6] ولكن هل القسم بالشيء يعنى تقديسًا له؟ إذا كان كذلك فكيف نفهم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ

---

(١)الطراز: ٣/ ١٥٣، ١٥٤.

(٢)الكتاب:٣/ ١٠٤، وشرح كتاب الحدود فى النحو للفاكهى: ٢٩٧.

(٣)التغابن: ٧.

(٤)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازى: ٣٠/ ٢٣.

(٥)البرهان فى علوم القرآن: ٣/ ٤٤.

(٦)روح المعانى : ٣٠/ ٥٩، ١٤٢.

لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1] مع قول العلماء بتقديس المقسم به وإعظامه عندما أقسم الله عز وجل بالشمس والقمر والتين والزيتون وغيرها... ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[2]؟

إن السبب فى تقديس معظم ما أقسم الله به من مخلوقات أنه شريف فى ذاته، كالقرآن، والشمس، والقمر،...ولكن **القسم فى اللغة قد يكون بالخسيس** كذلك، ليؤدى غرضاً مقصودًا، وجىء به ليؤدى غرضاً جليلا لا يؤديه غيره. ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب، وعلى طريقتهم، وأسلوبهم، كان علينا أن نعرف الغرض الأصلى من القسم عندهم، وأن نتبين خصائصه وأهدافه، لتتداعى تلك الشبهات. فابن القيم يقول: "والمقسم عليه: يراد بالقسم توكيده، وتحقيقه."[3] وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وكان من عادة العرب إذا أرادت أن تؤكد خبرًا أن تقسم عليه، كما كانوا يلجأون إلى توثيق وعودهم ومحالفاتهم ومعاهداتهم بالقسم؛ لأنه يفيد الجزم بصحة ما يقسمون عليه، والقطع بصدقه، وقد بلغ من شأن القسم عندهم، أنهم كانوا يحترزون كل الاحتراز من الأيمان الكاذبة، ويعتقدون أنها شؤم على صاحبها، تخرب الديار، وتدعها بلاقع، لما فيها من الغدر والخيانة، ومن أجل هذا كانت اليمين عندهم قاطعة في إثبات الحقوق.

٣- وسيلة من وسائل الإقناع وإزالة الشك عن المخاطب: يلجأ الإنسان إلى القسم لإزالة الشك عن المخاطب؛ فهناك من الناس من لا يقتنع إلا بالقسم، لإدخال الحديث فى باب الجد وللبرهان الحقيقى على صحة الكلام: "من أخبر عن شيء، وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد. وثانيها: أن الناس طبقات فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان

---

(١)فصلت: ٣٧.

(٢)الشمس: ١ - ٩.

(٣)التبيان فى أيمان القرآن: ٥.

الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية، نحو القسم فإن الأعرابي الذي جاء الرسول عليه السلام، وسأل عن نبوته ورسالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم"[1].

٤- **تقديس المقسم به**: عندما يقسم الإنسان بمعبوده، كما يفعل المسلمون عندما يقسمون بالله أو بصفة من صفاته، وهو أقوى أنواع القسم تأكيدا للمقسم عليه؛ فلأنهم يقدسون المقسم به، ونهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن القسم بغير الله: "أخرج الترمذى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك." [2] وإذا حنث فيه المقسم عليه الكفارة. وقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يحلف بأبيه، فقال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت). ولله أن يقسم بما شاء.

٥- **تشريف المقسم به**: ويراد به تشريف المقسِم (المتكلم) أو المخاطب أوالمقسَم عليه، كأن يقسم الإنسان بأبيه، أو برأسه أو بحياته لبيان اعتزازه بنفسه، وقد يريد تشريف من يخاطبه فيقول: ورأسك، أو لعمرك، مما يفيد التأكيد وتشريف المقسم به، ولكنها لا تصل إلى حد التقديس.

٦- **الاستدلال على ما يقسم به**: يتجه المقسِم إلى جعل المقسم به شاهدا ودليلا على أقواله "إذا سرحت النظر في كلام العرب وغيرهم وجدت أنهم ربما أشهدوا بأشياء لم يعبدوها ولا عظموها. وإنما أرادوا الاستدلال بجعل المقسم به شاهداً على أقوالهم." [3]، ومنها قسم الهجرس[4] حين قتل جساساً قاتل أبيه، فقال: "وفرسى

---

(١)مفاتيح الغيب - التفسير الكبير:١٧/ ١١٦.

(٢)فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ١١/ ٥٣١.

(٣)إمعان فى أقسام القرآن: ٣٣.

(٤)هجرس بن كليب بن ربيعة التغلبي الوائلي: فارس جاهلي، يروى له شعر. ولد بعد مقتل أبيه " كليب" الذي كانت بسببه حرب "البسوس" بين حيي بكر وتغلب ابني وائل. وربته أمه في بيت "خاله" "جساس" قاتل أبيه. ولما نشأ وعرف الخبر سُمع يقول: =

وأذنيه، ورمحى ونصليه، وسيفى وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه" فأقسم بهذه الأشياء استدلالا بها كأنه قال فكيف أترك قاتل أبى وأنا قادر على الكر والفر والطعن والضرب فذكر فى قسمه ما يصدق دعواه ويستدل به على وجوب ما أراد به.[1]" فقد وضع هجرسا الأدلة فى صورة القسم التي تفيد تأكيد المحلوف عليه، وتلفت السامع إليه، دون أن تعطى الخصم فرصة الإنكار، أو الفرار؛ لأنه لم يرد تقديس فرسه، وأذنيه ورمحه، ونصليه...، ولا تشريفها، وإن كانت عظيمة عنده، عزيزة عليه، ولكنه أراد أن يقول: لا عذر لى فى أن أترك قاتل أبى حيًّا أنظر إليه، وأنا قادر على الثأر، ومن كان كذلك، لا يسوغ له أن يترك قاتل أبيه حيا وهو ينظر إليه، فأنا لا يسوغ لى أن أترك قاتل أبى حيا، وأنا أنظر إليه.

لا يشترط أن يكون المقسم به مقدسا أو شريفا، وخاصة فى القرآن الكريم؛ لأن هذا التقديس يجوز للبشر، ولا يصح مع الخالق، إلا فى حالة واحدة وهى: القسم بالله فإنه تقديس، وقد رأينا فى كلام هجرس حينما أقسم بفرسه وأذنيه ورمحه ونصليه و... أن هذه الأقسام ليست مقدسة، وقد يكون القسم للاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، أو لتشبيه المقسم عليه بالمقسم به، وقد ذكر ذلك الرازى - فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾[2] **إلا أن الأيمان الواقعة في القرآن، وإن وردت في صورة القسم، فالمقصود بها الاستدلال بالمقسم به على المقسم**

= "يا للرجال لقلب ما له آس كيف العزاء وثأري عند جساس"

ودامت الحرب زمنًا طويلا انتهت بمقتل "جساس" . قال المرزباني: قتله هجرس وقال:

"الم ترني ثأرت أبي كليبا وقد يرجى المرشح للذحول"

"غسلت العار عن جشم بن بكر بجساس بن مرة ذي التبول"

وأشار ابن الأثير (المؤرخ) إلى هذه الرواية، ورجح ما ذهب إليه أكثر أصحاب الأخبار من أن جساسا جرح في معركة مع " أبي نويرة التغلبي" ومات من جرحه. الأعلام للزركلى: ٨/ ٧٧.

(١) إمعان فى أقسام القرآن: ٣٥.

(٢)الذاريات: ١ - ٦.

عليه، وهو هنا صدق الوعد، والبعث، والجزاء لـ "أن الأيمان التى حلف الله تعالى بها **كلها دلائل أخرجها فى صورة الأيمان** مثاله قول القائل لمنعمه وحق نعمك الكثيرة إنى لا أزال أشكرك فيذكر النعم وهى سبب مفيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم، كذلك هذه الأشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الإعادة"[1].

(١)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ٢٩/ ١٩٤.

المبحث الثانى

العناصر التركيبية للقسم فى القرآن الكريم.

يتكون أسلوب القسم من ركنين:

١- **الركن الأول:** جملة القسم، وتضم أحرف القسم، وأفعال القسم، وأسماء القسم.

٢- **الركن الثانى:** جملة جواب القسم.

أولاً: حروف القسم:

استخدم العرب أكثر من أداة للقسم، ومن هذه الأدوات ما استخدم للجر، ومنها ما استخدم لغير ذلك كالتاء التى تدل على القسم والتعجب، وذكر ابن يعيش خمس أدوات للقسم: "وهى **الباء والواو والتاء واللام ومن.**" [(١)]، وتفيد هذه الأدوات فى أنها "هى الموصلة لمعنى الحلف إلى المحلوف به وتجر المقسم به"[(٢)]."

١- الباء

هى حرف من حروف الجر، واختلف النحاة فى معانيها، ما بين ثلاثة عشر وأربعة عشر معنى، **والإلصاق هو أصل معانيها، فهى تلصق معنى القسم بالمقسم به وتوصله إليه، كما أنها أصل حروف القسم؛** "لأنها حرف إضافة ومعناها الإلصاق فأضافت معنى القسم إلى المقسم به وألصقته به[(٣)]." ولأنها أصل حروف القسم

---

(١)شرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ٩٩.

(٢)المدخل إلى دراسة النحو العربى: ٢/ ١٩٦.

(٣)السابق.

فإنها تختص ببعض الأمور: "ولذلك فضلت سائر حروفه لثلاثة أمور، **أحدها** أنها لا يجب حذف الفعل معها، بل يجوز إظهاره. نحو: أقسم بالله. **والثانى** أنها تدخل على المضمر. نحو بك لأفعلن. **والثالث** أنها تستعمل في الطلب وغيره، بخلاف سائر حروفه. فإن الفعل معها لا يظهر، ولا تجر المضمر، ولا تستعمل فى الطلب. وزاد بعضهم **رابعا**، وهو أن الباء تكون جارة فى القسم وغيره، بخلاف واو القسم وتائه، فإنهما لا تجران إلا فى القسم. قلت: ويشاركها فى هذا بعض حروف القسم كاللام."[1] وتستعمل فى الطلب والاستعطاف، كما فى قول الشاعر:

بالله ربِّك إنْ دخلتَ فقلْ لهُ هذا ابن هَرْمَةَ واقفا بالباب[2].

ومن ظهور فعل القسم مع الباء قوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾[3].

- وقد يضمر فعل القسم مع الباء، حيث "وردت فى القرآن الكريم للدلالة على القسم فى ست وعشرين آية؛ منها اثنتان وعشرين آية ظهر فيها فعل القسم معها، وأربع آيات حذف فيها فعل القسم." [4]، ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[5].

٢- الواو.

حرف من حروف المعانى، وهو حرف جر وقسم، وعلى الرغم من أن الباء هى أصل حروف القسم - كما ذكر كثير من النحاة - إلا أن الواو أكثر حروف القسم ورودًا فى القرآن الكريم: "وقد بلغ عدد الآيات الواردة بواو القسم فى القرآن

---

(١)الجنى الدانى فى حروف المعانى: ٤٥.

(٢)شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ١٠١، وخزانة الأدب: ١٠/ ٤٨، والبيت من بحر الكامل وهو لابن هرمة فى ديوانه:٧٠، ورصف المبانى: ١٤٦.

(٣)تكرر هذا التركيب فى القرآن الكريم خمس مرات، فى سورة المائدة: ٥٣، الأنعام: ١٠٩، النحل: ٣٨، النور:٥٣، فاطر:٤٢.

(٤)الجملة المحتملة للاسمية والفعلية: ٩٩، وهذه الآيات الأربع التى ورد فيها حرف القسم (الباء) وحذف فعل القسم وردت فى سورة الأعراف، الآية ١٦، وفى سورة الحجر الآية ٣٩، وسورة الشعراء الآية ٤٤، وفى سورة ص الآية ٨٢.

(٥)الأعراف: ١٦.

الكريم أربعا وثلاثين آية." [1] وذكر النحاة أن الواو أبدلت من الباء لسببين: "**أحدهما** مضارعتها إياها لفظًا، **والآخر** مضارعتها إياها معنى **أما اللفظ** فلأن الباء من الشفة، كما أن الواو كذلك. **وأما المعنى** فلأن الباء للإلصاق، والواو للاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه." [2]، وكثر استعمال الواو فى القسم بسبب مشابهة الواو للباء فى اللفظ والمعنى: "فالواو فى القسم بدل من الباء وعاملة عملها وليست كسائر حروف العطف لأن واو العطف غير عاملة بنفسها وإنما هى دالة على العامل المحذوف ولذلك يجوز أن تقول فى قام زيد وعمرو قام زيد وقام عمرو فتجامع العامل ولو كانت العامل لم تجتمع مع عامل آخر وليست كذلك واو القسم "والتاء" بدل من الواو واختص ذلك بالقسم وإنما أبدلت منها لأنها أبدلت منها كثيرا نحو قولهم تجاه وتراث وهما فعال من الوجه والوراثة وقالوا تكأة وتخمة..." [3] رد أبو حيان رأى كثير من النحاة فى كون (الواو) بدلا من (الباء) وقال إن "الواو أصل، وليست بدلا من الباء فى القسم، خلافا لزاعمه، ولا يصرح بفعل القسم معها" [4].

شروط استعمال حرف القسم (الواو):

" ١- ألَّا يذكر فعل القسم، فلا يقال: أقسمت والله.

٢ - ألا يستعمل فى الطلب، فلا يقال: والله أخبرني.

٣ - أن يستعمل فى الظاهر، سواء كان اسم الله تعالى أو سواه، فلا يقال: وك، ولا وإياك على القسم." [5]، واختلف النحاة فى الواو التالية لها، هل هى واو العطف أو القسم" وإذا تلتها واو ثانية، فالتالية واو عطف، نحو: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ

---

(١)الجملة المحتملة للاسمية والفعلية: ١٠٢.

(٢)سر صناعة الإعراب: ١٤٤، وشرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩٩، بناء الجملة العربية د. محمد حماسة عبد اللطيف: ١٨٤.

(٣)شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩٩.

(٤)ارتشاف الضرب: ١٧١٧.

(٥)الحذف والتقدير فى النحو العربى للدكتور على أبو المكارم:٦٧.

سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[1]"، ولكن تدخل واو العطف على واو القسم، نحو:

ووالله لــولا تَمــرُهُ ما حَبَبــتُهُ ولا كان أدنى مِن عُبيد ومُشرقِ[2].

٣ – التاء.

التاء حرف من حروف المعانى يستعمل فى القسم، ويأتى فى المرتبة الثالثة بعد الواو والباء، واختلف النحاة فى دخوله على لفظ الجلالة فقط ودخوله على غيره من صفاته – عز وجل – فنجد من يقول إنها "تجر ثلاثة أسماء ظاهرة دون غيرها: الله، الرحمن، و "رَبّ" مضاف إلى الكعبة أو الضمير، نحو: تالله ، تالرحمن وتربِّ الكعبة، وتربي. والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف وجوبا."[3] وقيل إنها خاصة بالدخول على اسم الله فقط."[4] **وتأتى للتعجب**[5]، وقد تأتى لغيره، وأن اختصاصها باسم الله لضعفها ولشرفه – سبحانه وتعالى: "واختصت التاء لضعفها بكونها فى المرتبة الثالثة بأن اختصت باسم الله تعالى لشرفه وكونه اسما لذاته سبحانه وما عداه يجرى مجرى الصفة فتقول تالله لأفعلن **وفيها معنى التعجب** قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[6]وربما جاءت لغير التعجب كقوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾[7]ولا يجوز تالرحمن ولا تالبارى ويجوز ذلك فى الواو."[8].

---

(١)التين: ١ – ٣.

(٢)المعجم الوافى فى أدوات النحو العربى : ٣٥٨، والبيت من بحر الطويل، وقائله غيلان بن شجاع النهشلي، شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٤٣٠ ، ومغنى اللبيب: ٤ / ٣٨٨، والكامل للمبرد: ٤٣٨.

(٣)المعجم الوافى فى أدوات النحو العربى : ١٢٠، الإحالة والكذب فى التراكيب عند النحاة – د. زينب شافعى: ١١٠.

(٤)الجنى الدانى فى حروف المعانى: ٥٧.

(٥)شرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ٩٩، إعراب القرآن الكريم وبيانه – محيى الدين الدرويش: ٤/ ١٧، روح المعانى للألوسى: ١٣/ ٢٦، والكشاف: ٣/ ٣٠٨.

(٦)يوسف: ٩١.

(٧)الأنبياء: ٥٧.

(٨)شرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ٩٩.

ووردت التاء للقسم فى **تسع آيات** فى القرآن الكريم:

١- ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾[١].

٢- ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾[٢].

٣- ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[٣].

٤- ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٤].

٥- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[٥].

٦- ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٦].

٧- ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٧].

٨- ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾[٨].

٩- ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[٩].

ويحذف معها الفعل وجوبا، ولم تأت فى القرآن الكريم إلا مع اسم الجلالة، كما أن فيها معنى التفخيم: "ومن التفخيم قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ

---

(١)يوسف: ٧٣.
(٢)يوسف ٨٥.
(٣)يوسف: ٩١.
(٤)يوسف: ٩٥.
(٥)النحل: ٥٦.
(٦)النحل: ٦٣.
(٧)الشعراء: ٩٧.
(٨)الصافات: ٥٦.
(٩)الأنبياء: ٥٧.

تَفْتَرُونَ ﴾[1] وقوله: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[2]، ويبدو أن القسم بها آكد وأفخم من الواو لاختصاصها باسم الله سبحانه[3].

حروف القسم التى وردت فى القرآن الكريم:

الواو	التاء	الباء
- أكثر حروف القسم استعمالا فى القرآن الكريم، حيث وردت للقسم فى(٣٤ آية). - لا يذكر معها فعل القسم - لا تستعمل فى الطلب. - تستعمل مع الظاهر. - تدخل معها (إنَّ) فى جواب القسم. إلا مع الماضى المتصرف، نحو قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[5].	- تأتى للتعجب، وغيره وتختص بلفظ الجلالة فلا تجر غيره، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[6]. - وردت للقسم فى (٩ آيات) فى القرآن الكريم .فى سور: ١- يوسف: ٧٣ ٢- يوسف: ٨٥ ٣- يوسف: ٩١ ٤- يوسف: ٩٥ ٥- النحل: ٥٦ ٦- النحل: ٦٣ ٧- الشعراء: ٩٧	- أصل حروف القسم؛ لأنها حرف إضافة ومعناها الإلصاق، حيث تضيف معنى القسم إلى المقسم به. وتلصقه به. - تستعمل فى الطلب والاستعطاف. - يظهر معها فعل القسم نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ ﴾. - وقد يضمر معها فعل القسم ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[7] - الباء تكون جارة فى القسم وغيره، بخلاف واو القسم وتائه، فإنهما لا

(١)النحل: ٥٦.
(٢)النحل: ٦٣.
(٣)معانى النحو للدكتور فاضل السامرائى: ٤ / ٥٤٠، ٥٤١.
(٤)الزخرف: ١ - ٣.
(٥)الدخان: ١ - ٣.
(٦)الأنبياء: ٥٧.
(٧)الأعراف: ١٦.

الواو	التاء	الباء
	[8] – الصافات: ٥٦ [9] – الأنبياء: ٥٧	تجران إلا فى القسم. قلت: ويشاركها فى هذا بعض حروف القسم كاللام"[١]."

٤ – اللام

اللام لها معان كثيرة، منها **القسم والتعجب**، وتختص بالدخول على اسم الجلالة، وتستعمل كالتاء بمعنى التعجب: "فإنها تدخل للقسم على معنى التعجب"[٢]. فاللام تأتى "القسم. ويلزمها فيه معنى التعجب. نحو قوله:

لله يَبقَى، عـلى الأيـام، ذو حيَـدٍ بمُشْمَخَرٍّ، به الظيَّانُ، والآسُ"[٣].

٥ – من

(مُن) بضم الميم، اختصت بالدخول على الرب كما اختصت التاء بالدخول على اسم الله عز وجل "ويجوز فى نونها الإظهار والإدغام مع راء "رَبّ"[٤]، واختلف العلماء فى نوعها، فقيل إنها اسم وليس حرف جر "والأظهر عندى أن تكون اسما مقتطعة من "ايمن"[٥].

٦ – الكاف

وردت الكاف بمعنى القسم فى بعض آيات القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[٦] وقد

---

(١)الجنى الدانى فى حروف المعانى: ٤٥.

(٢)شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩٩، وينظر المعجم الوافى فى أدوات النحو العربى: ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٣)الجنى الدانى: ٩٧، ٩٨، شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩٩– ١٠٠، همع الهوامع: ٢ / ٣٦٧ والبيت من بحر البسيط، وهو لأبى ذؤيب. وينسب إلى مالك بن خالد، وأمية بن أبى عائذ، وعبد مناة الهذلى. والحيد: ما برز من القرن. وذو الحيد: الوعل. والمشمخر: الجبل العالى. والظيان: الياسمين، والآس: ضرب من النبات (وورد فى الهمع أنه العسل، والآس: بقية العسل فى الخلية)، وحذف الشاعر "لا" النافية قبل "يبقى".

(٤)رصف المبانى فى شرح حروف المعانى: ٣٢٦.

(٥)السابق: ٣٢٦، ٣٢٧.

(٦)الأنفال: ٥.

جاءت بمعنى القسم مجازا، وأن جوابه قوله تعالى ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ فى الآية التالية فى قول تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾[1]، وقيل: "هي بمعنى القسم مجازا، والذي أخرجك، لأن "ما" في موضع الذي، وجوابه ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق."[2]، وقيل: "الكاف بمعنى (إذ) تقديره: وإذ أخرجك ربّك من بيتك بالمدينة إلى بدر بالحق."[3] وهناك كلمات لم تأت فى القرآن الكريم استخدمها العرب بمعنى القسم، مثل: "أمانة الله. ومثل ذلك يعلم الله لأفعلن، وعَلِمَ الله لأفعلن فإعرابه كإعراب يذهب زيد، والمعنى: والله لأفعلن. وذا بمنزلة يرحَمُك الله وفيه معنى الدعاء، وبمنزلة "اتقى الله امرُؤ وعمِلَ خيراً" إعرابه إعراب فَعَلَ، ومعناه معنى ليَفْعلْ وليِعْمَلْ"[4]."

ثانيا: الأفعال التى استخدمتها العرب فى القسم:

(أ)**أفعال صريحة مستخدمة فى القسم**: الأفعال التى وردت للقسم الصريح فى القرآن الكريم هى (أَقْسَمَ – أُقْسِمُ – تَقاسَم – اقتسم – قاسم):

– **أَقْسَمَ** :(بصيغة الماضى) كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[5]. "وأقسمت: حلفتُ، وأصله من القَسَامَةِ، وهى الأَيْمَانُ تقسم على الأولياء فى الدم"[6].

– **أُقْسِمُ** (بصيغة المضارع): كما فى قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[7].

---

(١)الأنفال: ٦.
(٢)معالم التنزيل: ٣ / ٣٢٨.
(٣)الكشف والبيان: ٤ / ٣٢٩.
(٤)الكتاب: ٣ / ٥٠٤.
(٥)القلم: ١٧.
(٦)الصحاح: ٥ / ٢٠١٠.
(٧)الواقعة: ٧٥-٧٦.

- تَقاسَم: كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[1]. "وتَقاسَمَ القومُ: تحالفوا. وفي التنزيل: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ وأَقْسَمْتُ: حلفتُ، وأَصله من القَسامَة ... والقَسامةُ: الذين يحلفون على حَقِّهم ويأْخذون."[2] تقاسموا: من القَسَم اليمين، أَيْ تحالفوا... والقَسامة الجماعة يُقْسِمُون على الشيء أَو يُشهِدونَ، ويَمِينُ القَسامةِ منسوبة إِليهم. وفي حديثٍ: الأَيْمانُ تُقْسَمُ على أَوْلياء الدم ... والمُقْسَمُ: القَسَمُ. والمُقْسَمُ: المَوْضِع الذي حلف فيه، والمُقْسِم الرجل الحالف، أَقْسَم يُقْسِمُ إِقْساماً"[3].

---

(١)النمل: ٤٩.

(٢)لسان العرب، مادة (قسم):١٢/ ٤٧٨- ٤٨١، وفي الحديث: "نحن نازِلُون بخَيْفِ بني كِنانَةَ حيث تَقاسَمُوا على الكفر... قال الأَزهري: وتفسير القَسامة في الدم أَن يُقْتل رجلٌ فلا تشهد على قتل القاتلِ إِيَّاهُ بيِّنَةٌ عادِلةٌ كامِلةٌ فيجيءُ أَولياء المقتولِ فيدّعون قِبَل رجلٍ أَنه قَتَلهُ ويُدْلُون بِلَوْثٍ من البيِّنة غير كاملة، وذلك أَن يُوجد المُدَّعى عليه مُتلَطِّخاً بدم القتيل في الحال التي وُجد فيها ولم يشهد رجل عدل أَو امرأَة ثقة أَن فلاناً قتله، أَو يوجد القتيل في دار القاتل، وقد كان بينهما عداوة ظاهرة قبل ذلك، فإِذا قامت دَلالة من هذه الدلالات سَبَق إِلى قلب من سمعه أَنَّ دعوى الأَولياء صحيحة فَيُستَحْلَفُ أَولياءُ القتيل خمسين يميناً أَن فلاناً الذي ادعوا قتله انفرد بقتل صاحبهم ما شَرَكه في دمه أَحد، فإِذا حلفوا خمسين يميناً استحقوا دية قتيلهم، فإِن أَبَوْا أَن يحلفوا مع اللوث الذي أَدلوا به حلف المُدَّعى عليه وبَرِئ، وإِن نكل المدّعى عليه عن اليمين خير ورثة القتيل بين قتله أَو أَخذ الدية من مال المدّعى عليه، وهذا جميعه قول الشافعي. والقَسامةُ: اسم من الإِقْسام، وُضِع مَوْضِع المصدر، ثم يقال للذين يُقْسِمونَ قَسَامة، وإِن لم يكن لوث من بينة حلف المدَّعى عليه خمسين يميناً وبرئ، وقيل: يحلف يميناً واحدة. وفي الحديث: أَنه اسْتَحْلَف خمسةَ نفَر في قسامة معهم رجل من غيرهم فقال: رُدُّوا الأَيمان على أَجالِدِهم؛ قال ابن الأَثير: القَسامة، بالفتح، اليمين كالقسَم، وحقيقتها أَن يُقْسِم من أَولياء الدم خمسون نفراً على استحقاقِهم دمَ صاحبِهم إِذا وجدوه قتيلاً بين قوم ولم يُعرف قاتله، فإِن لم يكونوا خمسين أَقسم الموجودون خمسين يميناً، ولا يكون فيهم صبي ولا امرأَة ولا مجنون ولا عبد، أَو يُقسم بها المتهمون على نفي القتل عنهم، فإِن حلف المدعون استحقوا الدية، وإِن حلف المتهَمون لم تلزمهم الدية، وقد أَقْسَم يُقْسِم قَسَماً وقَسامة.

(٣)لسان العرب، مادة (قسم):١٢/ ٤٧٨، المعجم الوسيط، مادة (قسم): ٢ / ٧٦٣.

- **اقتسم**: كما فى قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾[1] والاقتسام من القسم لا من القسامة و"هم قوم صالح تقاسموا لنبيتنه وأهله، فرمتهم الملائكة بالحجارة حتى قتلوهم، فعلى هذا والاقتسام من القسم لا من القسمة"[2]."

- **قاسم**: كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّصِحِينَ ﴾[3]. "فأما اليمين فالقسم. قال أهل اللغة: أصل ذلك من القسامة، وهى الأيمان تُقسَم على أولياء المقتول إذا ادعوا دم مقتولهم على ناس اتهموهم به"[4]. وجاءت تسمية القسم - عند معظم أهل اللغة - من الأيمان التى تُقُسَم على أولياء المقتول، فسميت كل يمين منها قسما، ومن هنا يطلق على اليمين والحلف[5]. **(ب) أفعال غير صريحة فى القسم (أفعال بمعنى القسم)**: هناك كلمات استخدمتها العرب فى القسم **نحو (علم، شاهد، عهد، عاهد، أخذ الميثاق، وعد، قضى بمعنى أقسم، كتب، تمت كلمة ربك، تأذن)**؛ لأن فيها معان تشتمل على ما يفيد القسم، كما فى (علم): "عِلِم الله لأفعلن. فـ "عَلِمَ" فعل ماض، والله - عز وجل - فاعله، فإعرابه كإعراب رزق الله إلا أنَّك إذا قلت: علم الله - فقد استشهدت. فلذلك صار فيه معنى القسم... وكذلك شهد الله لأفعلن؛ لأنه بمنزلة عِلِم الله"[6].

ثالثا :الأسماء التى استعملت فى القسم :

استعملت العرب فى القسم أسماء كثيرة، منها عمر ويمين، وحق،... وذكرها سيبويه تحت عنوان (هذا باب ما يعمل بعضه فى بعض وفيه معنى القسم)، وأشار إليها الدكتور تمام حسان بأنها **(ألفاظ) تأتى مثل أحرف القسم وضمها إلى حروف القسم**: "وأحرف القسم هى الباء والتاء والواو ومعها ألفاظ مثل أيمن وايم"[7].

---

(١)الحجر: ٩٠.
(٢)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازى: ١٩ / ٢١٦.
(٣)الأعراف: ٢١.
(٤)معجم مقاييس اللغة، مادة (قسم): ٥ / ٨٦.
(٥)ينظر لسان العرب، مادة (قسم):١٢/ ٤٧٨، وتهذيب اللغة: ٨ / ٤٢٣، والمفردات فى غريب القرآن:٦٠٩.
(٦)المقتضب: ٢ / ٣٢٤ - ٣٣١.
(٧)الخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان: ١٤٨.

وورد فى القرآن الكريم (عمر) فى قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1]، وهذه الآية يقول عنها القرطبى: "أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد، صلى الله عليه وسلم، تشريفا له أن قومه من قريش فى سكرتهم يعمهون، وفى حيرتهم يترددون"[2]، وورد اليمين بمعنى القسم، واختلف العلماء بين كونه اسما أو حرفا، فقال السيوطى: "[من حروف القسم]"[3] ثم ذكر أنه الأصح أنه اسم، "وقال الرمانى والزجاج هو حرف"[4] **وقد ورد اليمين بمعنى القسم بصيغ مختلفة** فى القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾[7]. ونهى الله - عز وجل - عن كثرة الحلف ووضح أحكامه فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[8].

نوع جملة القسم (اسمية أو فعلية):

هناك جمل قد تكون اسمية إذا بدأت باسم أو فعلية إذا بدأت بفعل، ويرجع ذلك لاختلاف النحويين فى تقدير المحذوفات، ومن هذه الجمل (جملة القسم)، فهى جملة مكونة من مركبين إسناديين مرتبطين بعضهما ببعض، ولا تتم إحداهما إلا بالأخرى

---

(١)الحجر: ٧٢.
(٢)الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ١٠/ ٢٢٨.
(٣)همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى: ٢/ ٣٩٤ وما بعدها.
(٤)السابق.
(٥)المائدة: ١٠٨.
(٦)التوبة: ١٢.
(٧)القلم: ٣٩.
(٨)البقرة: ٢٢٤ - ٢٢٥.

"ونلاحظ أن أحدهما يكون فكرة مستقلة، والثانى يؤدى فكرة غير كاملة ولا مستقلة، ولا معنى لها إلا بالمركب الآخر، والارتباط بين المركبين معتمد على أداة تكوّن علاقة بين المركبين"[1]. ، أى أن.

أسلوب القسم ينقسم إلى جملتين:

الأولى: جملة القسم (الجملة المؤكِّدة). **الثانية**: جملة الجواب (الجملة المؤكَّدة).

أما جملة القسم فالوقوف عليها لا يفيد معنى إلا بالجملة المؤكَّدة؛ لأنها بمثابة المبتدأ الذى يحتاج إلى خبر ليتم به المعنى، فجملة القسم وجملة الجواب كالمبتدأ والخبر، وكجملتى الشرط والجزاء، أى أن "القسم وجوابه وان كانا جملتين فإنهما لما أكد إحداهما الأخرى صارت كالجملة الواحدة المركبة من جزئين كالمبتدإ والخبر"[2]. وتأتى جملة القسم فى صورتين: **الأولى: اسمية، الثانية: فعلية**، وقال ابن مالك:

جملـةً اسمـــيةً او فعلـــيَّه ... للقسم اجعل قاصدًا أليَّه

نحو:(عليَّ عهدُه) و (أقسمُ ... به) وجملةُ الجواب تَختِمُ[3]

أولا: جملة القسم الاسمية:

-**هى التى تتكون من مبتدأ وخبر**، أو هى التى تبدأ باسم مختص بالقسم، ومن الأسماء المختصة بالقسم عند العرب (أيمن الله - أيم الله - لعمر الله - لعمرك - أيمن الكعبة) "وقد ذكر ذلك سيبويه تحت **"باب ما عمل بعضه فى بعض وفيه معنى القسم"** فقال: "وذلك قولك: لعمر الله لأفعلنَّ، وأيم الله لأفعلنّ. وبعض العرب يقول: ايمن الكعبة لأفعلنَّ، كأنه قال: لعمر الله المقسم به، وكذلك ايم الله وايمن الله"[4]. فإذا وقفت على الجملة الأولى (لعمر الله، وايم الله، وايمن الله) هذه الجمل لا تفيد شيئا إلا إذا أخبرت عنها.

---

(١)الجملة العربية - مكوناتها - أنواعها - تحليلها. للدكتور محمد إبراهيم عبادة: ١٣٩.

(٢)شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩٣.

(٣)شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١ / ٨٣٣.

(٤)الكتاب: ٣/ ٥٠٢.

- **أو التى تبدأ باسم غير مختص بالقسم**، كـ (أمانة الله – عهد الله – ...) نحو: عهد الله لأسعين فى الحق. وقد مثل لها ابن مالك بقوله (على عهد)، **ويلاحظ فى جملة القسم الاسمية ما يأتى:**

١- **إذا كان أحد طرفيها مما لا يستعمل إلا فى القسم**، ذكر هذا الطرف وحذف الطرف الآخر وجوبا.

أ - **ذكر المبتدأ وحذف الخبر**، كما فى قولك: لعمرى لأذاكرن، أى لعمرى قسمى. وايمن الله لأجتهدن، أى: وايمن الله قسمى.

ب- **ذكر الخبر وحذف المبتدأ**، كما فى"قولك (فى ذمتى لأكرمنك)، والتقدير: فى ذمتى عهد أو ميثاق"[(١)].

٢- **إذا لم يكن أحد طرفى الجملة الاسمية مختصًّا بالقسم** "جاز ذكر الطرفين، وجاز حذف أحدهما، مثل: عهد الله علي لأقولن الحق عهد الله لأقولن الحق"[(٢)].

ووردت جملة القسم الاسمية فى القرآن الكريم فى **ثلاثة مواضع**، فى قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾[(٥)] "والآيات الثلاث السابقة مقطوع باسميتها، إما **لدخول لام الابتداء**، وإما **لوجود الخبر المقدم بالإضافة** إلى سياق الآية الذى يبرز ثباتها وعدم تغيرها"[(٦)]. وبما أن الجملة الاسمية تدل على الثبات والاستمرار، فإن أسماء القسم أيضًا تدل على الثبات: "جميع أسماء القسم تدل على ألفاظ ثابتة جامدة

---

(١)المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢/ ٨٣.
(٢)أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ١٩.
(٣)الحجر: ٧٢.
(٤)ص: ٨٤ – ٨٥.
(٥)القلم: ٣٩.
(٦)الجملة المحتملة للاسمية والفعلية: ١٠٩.

مستمرة ومعظمة لدى القسم دائما، وليست وليدة فترة معينة، وذلك عندما تكون جملة اسمية"[1].

ثانيًا: جملة القسم الفعلية:

هى التى تبدأ بفعل من أفعال القسم، مثل: أحلفُ، وحلفَ، وأقسمُ، وقسمَ، ومن أشهرها استعمالا فى القرآن الكريم الفعل (أقسم)، وكما ذكر من قبل أن هذه الجملة لا تفيد معنى بمفردها وإنما بجملة الجواب؛ فالجملة الفعلية فى القسم نحو أحلف بالله وأقسم بالله ونحوهما. هذه الجملة تتعلق بجملة الجواب كتعلق المبتدإ بالخبر والشرط بالجزاء"[2].

ومن الملاحظ فى جملة القسم الفعلية ما يأتى:

أ- إذا كان فعل القسم من الأفعال التى تدل على القسم: فعل القسم وأداة القسم هى (الباء) فإنه يجوز ذكر فعل القسم ويجوز حذفه، فنقول: أقسم بالله لأذاكرن، أو بالله لأذاكرن"[3].

ب- وإذا كان المقسم به مجرورًا بـ (الواو) أو (التاء) فإنه يجب حذف فعل القسم."[4]، فنقول: والله لأساعدن المحتاج، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[6]. ومن أمثلة جملة القسم الفعلية فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[7]، ومنها المسبوقة بـ (لا) نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[8].

---

(١)السابق:٩٣.

(٢)ينظر شرح المفصل لابن يعيش: ٩ / ٩١.

(٣)ينظر أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ١٩.

(٤)ينظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢ / ١٩.

(٥)الأنعام: ٢٣.

(٦)الأنبياء: ٥٧.

(٧)القلم: ١٧.

(٨)البلد: ١.

قد تزاد ألفاظ فى)القَسَم) لمبالغة فى التوكيد، من ذلك زيادة لفظ (إى) بمعنى: نعم، للتأكيد على كلام سابق، لكنها مختصة بالقسم فقط أما (نعم) فتكون فى القسم وغيره، كما فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[1] "وإى كلمة موضوعة لتحقيق كلام متقدم."[2] وقد حلف النبى – صلى الله عليه وسلم – فى ثلاثة مواضع أمره الله بالحلف فيها فى القرآن الكريم" أمره الله أن يحلف بقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[3] وهو لم يستحلف. وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[5] وعليه فإن الحلف إذا دعت الحاجة إليه، أو اقتضته المصلحة فإنه جائز، بل قد يكون مندوبا إليه كحلف النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المخزومية حيث قال: "وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[6] فقد وقع موقعا عظيما من هؤلاء القوم الذين أهمهم شأن المخزومية، وممن يأتي بعدهم"[7].

وقد يُنقص منه للاختصار وللعلم بالمحذوف، فيُحذف فعل (القَسَم) وحرف الجر، ويكون الجواب مذكورًا، كقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

---

(١)يونس: ٥٣، وقد كان يكتفي في الجواب بقوله: إي وربي إلا أنه أكد بإظهار الجملة التي كانت تضمر بعد قوله (إي وربي) مسوقة مؤكدة بإنّ واللام، مبالغة في التوكيد في الجواب. انظر البحر المحيط :٥/ ١٦٧.

(٢)المفردات فى غريب القرآن: ٣٤، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام : ١/ ٥٠٢، وشرح المفصل: ٨ / ١٢٤، الجنى الدانى: ٢٣٤،٢٣٥، ويجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء، تقول: إى وربى. "وسَمِعْتهم يقولون في التصديق» إيْوَ «فَيَصِلُونه بواو القسم ولا يَنْطِقون به وحده»." انظر الدر المصون فى تفسير الكتاب المكنون: ١/ ٢٣٢٨.

(٣)يونس: ٥٣.

(٤)التغابن: ٧.

(٥)سبأ: ٣.

(٦)أخرجه البخارى فى الحدود / باب كراهة الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان / ٤/ ٢٨٤، ومسلم فى الحدود / باب قطع يد السارق الشريف: ٣/ ٣١٥.

(٧)القول المفيد على كتاب التوحيد:٣/ ٢٣٦،٢٣٧.

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، "كلام مستأنف مسوق لعتاب المتخلفين عن القتال واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق"[2] وذكر ابن هشام فى المغنى أن جملة القسم تحذف، وأن هذا الحذف "كثير جدا وهو لازم مع غير الباء من حروف القسم وحيث قيل لأفعلن أو لقد فعل أو لئن فعل ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة نحو ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[3] الآية ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾[4]."[5]"

على الرغم من أن أسلوب القسم يتكون من جملتين (جملة القسم وجملة الجواب) إلا أن هاتين الجملتين ليستا منفصلتين؛ لأنهما ترتبطان ببعضهما بروابط مختلفة حسب نوع الجملة (اسمية أو فعلية)، وهذا الترابط كما قال عنه الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ترابط لغوى ومعنوى حميم: "يترابط جواب القسم بالقسم ترابطا لغويا ومعنويا حميما[6]." وترتبط الجملتان معا بحيث تتنزلان منزلة الجملة الواحدة[7]."

حذف جملة القسم:

- يجوز حذف **جملة القسم** إذا دل عليها دليل، مثل لأذاكرن، أى أقسم بالله لأذاكرن، والدليل على أن جملة القسم هى المحذوفة هو اقتران جوابها باللام، وتأكيده بالنون.

- إذا حذفت جملة القسم قبل الشرط، بقي منها لام تسمى **اللام الموطئة للقسم،**

---

(١)الأحزاب: ٢١.

(٢)إعراب القرآن وبيانه لمحيى الدين الدرويش: ٦/ ١٥٦، الجدول فى إعراب القرآن وصرفه وبيانه:١١/ ١٤٦.

(٣)النمل: ٢١.

(٤)آل عمران: ١٥٢.

(٥)مغنى اللبيب: ٢/ ٣٠٢.

(٦)بناء الجملة العربية للدكتور محمد حماسة: ١٨٣.

(٧)السابق: ١٨٥.

نحو: لئن زرتني لأكرمنك. التقدير: أقسم لئن زرتني لأكرمنك[1].

اللام الموطئة للقسم: هى اللام الداخلة على أداة الشرط وتبقى بعد حذف جملة القسم، نحو: لئن زرتني لأكرمنك. التقدير: أقسم لئن زرتنى لأكرمنك[2]."، تحذف اللام الموطئة للقسم لام (لئن) ويعتمد القسم على الفعل الثانى وليس على الأول "وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[3] والتقدير: ولئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن كما ظهرت فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾[4] قال أبوعلى: ويدل حذف اللام هذه أن اعتماد القسم على الفعل الثانى دون الأول بدليل حذف اللام الأولى فى نحو هذا[5]."

الركن الثانى: جملة جواب القسم: من الجمل التى لا محل لها من الإعراب، وهى الجمل التي لا تحل محل المفرد، ولا تؤول به، ومن ثم لا يقال فيها إنها فى موضع رفع، أو نصب، أو جر، أو جزم، **وجملة جواب القسم من الجمل المكملة لجملة القسم**؛ إذ ترتبط كل منهما بالأخرى، وهذه الجملة "تأتي بعد قسم صريح، أو مقدر تدل عليه قرينة لفظية، والقرينة اللفظية إما أن تكون اللام الموطئة للقسم، وإما لام التوكيد التى تدخل على الفعل المضارع المثبت الذى اتصلت به نون التوكيد ثقيلة أم خفيفة[6]."

نوع جملة القسم: إنشائية أو خبرية؟

الجملة الخبرية: هي التي تحتمل الصدق والكذب لذاتها، أما **الجملة الإنشائية**، فهي "التي يطلب بها إما حصول شيء، أو عدم حصوله، وإما إقراره والموافقة عليه،

---

(١)أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ٢٠، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢/ ٨٤ بتصرف.

(٢)المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢/ ٨٤.

(٣)المائدة: ٧٣.

(٤)العلق: ١٥.

(٥)الحذف البلاغى فى القرآن الكريم – مصطفى عبد السلام أبو شادى – مكتبة القرآن – القاهرة: ٩٤،٩٥.

(٦)إعراب الجمل وأشباه الجمل للدكتور شوقى المعرى: ٤٢.

أو عدم إقراره. فلا دخل للصدق والكذب فيها. **وتنقسم الجملة الإنشائية إلى قسمين: إنشائية طلبية، وإنشائية غير طلبية**، وهي التي يتحقق- غالبا - مدلولها بمجرد النطق بها دون أن يكون طلبيا، ومنها **جملة القسم نفسه**، لا جملة جوابه[1]. وكما ذكر فإن أسلوب القسم يتكون من جملتين: **أما جملة القسم فقيل إنها جملة إنشائية** من الإنشاء غير الطلبى "وهو ما لا يستدعى مطلوبا كصيغ التعجب وألفاظ القسم والرجاء ونحوها ... وألفاظ القسم نحو لعمرك ويمين الله وأيمن الله ووالله وبالله وأقسم بالله ونحوها، والمقصود بألفاظ القسم ما يقسم به وليس الجواب[2]."

وقيل إنها تأتى خبرية بدليلين:

١- أن الجملة الإنشائية قد تقع فى محل خبر.

٢- أن الضمير العائد إن خلت منه جملة القسم تتضمنه جملة الجواب، والخبر فى المعنى إنما هو جواب القسم. أما جملة القسم فإنما جيء بها للتوكيد لا للتأسيس ولما تقدمت على الجواب أصبحت فى الظاهر هى الخبر، وجوابها لا محل له. ولما كانتا فى الارتباط كالجملة الواحدة، والضمير العائد فى واحدة منهما، لم يبق ما يمنع أن تكون الأولى خبرًا فى اللفظ والصناعة، والثانية خبرًا فى المعنى. هذا هو منطق العربية. ودليله قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3]، فجملة "لنهدين" جواب قسم محذوف، دل عليه اللام والنون. وجملة القسم هي في محل رفع خبر"الذين"... **وجملة القسم قد تكون خبرية لا إنشائية، وتتضمن ضميرًا يعود على الاسم الموصول**، نحو قوله تعالى:﴿ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾[4] و﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ

---

(١)النحو الوافى:١/ ٣٧٤-٣٧٥ بتصرف.

(٢)الجملة العربية تأليفها وأقسامها للدكتور فاضل السامرائى: ١٧٠، وينظر الأساليب الإنشائية لعبد السلام هارون: ١٦٢، والنحو الوافى: ١/ ٣٧٥.

(٣)العنكبوت: ٦٩.

(٤)التوبة: ٧٥.

أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾[1]. "[2]

وجملة جواب القسم – أيضًا – قد تكون جملة خبرية وهي التي تحتمل الصدق والكذب لذاتها، وقد تكون إنشائية (إنشاء طلبى أو غير طلبى)، أى إذا كانت أمرًا أو نهيًا أو استفهامًا... وهو ما يسمى قسم الطلب، أو ما سمى بالقسم الاستعطافى، كما فى قول مجنون ليلى:

بدينك هل ضممت إليك ليلى وهل قبلت قبل الصبح فاها[3]

أما الجملتان معا (جملة القسم وجملة الجواب) **فكلتاهما معا خبرية**، أى أنهما معًا يكونان كلامًا يحتمل الصدق والكذب "نحو: والله ليقومن زيد، ألا ترى أنه يحتمل أن يكون هذا الكلام صادقًا، وأن يكون كاذبًا، فإن جاء ما صورته كصورة القسم وهو غير محتمل للصدق والكذب حمل على أنه ليس بقسم"[4].

روابط جملتى القسم:

يتكون أسلوب القسم من جملتين يطلق عليهما معا **جملة مركبة** من القسم والجواب مثلها مثل جملة الشرط التى تتكون من جملتين (جملة الشرط وجملة الجواب)، وقد تلتقى جملة القسم وجملة الشرط معا، ويكون الجواب للسابق منهما، وترتبط جملة الشرط بجملة الجزاء بأدوات الشرط، أما جملتا القسم اللتان تتنزلان منزلة الجملة الواحدة فهل ترتبطان معًا بروابط لفظية؟

ذكر من قبل أن جملتى القسم كجملتى الشرط والجزاء، وكالمبتدأ والخبر، أى أنهما ترتبطان معًا بروابط معنوية، وتعمل حروف القسم (الباء، والواو والتاء) الجر فى المقسم به؛ فهى حروف جر وقسم فى الوقت نفسه، وقد تم تناول دور كل منها،

---

(١)المائدة: ٥٣.

(٢)إعراب الجمل وأشباه الجمل لفخر الدين قباوة: ٩٤-٩٥ بتصرف.

(٣)والبيت لمجنون ليلى من ديوانه: ٢٢٢ وهو من بحر الوافر.

(٤)شرح جمل الزجاجى: ٢/ ٥٢١.

ومتى يجب حذف فعل القسم معها ومتى يجوز ذكره، "وذكر النحاة أن الأصل فى القسم هو الباء ولذلك خصت بذكر الفعل معها دون الواو والتاء، أن البنية الأساسية للقسم بالجملة الفعلية يتكون من [فعل وفاعل وحرف جر يوصل به إلى المقسم به]. ولذلك عندما يقول النحاة فى القسم بالواو والتاء إن الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف وجوبًا، يعد هذا محاولة للرجوع إلى الأصل الذى يمكن ظهوره مع الباء دون الواو والتاء[1]."

أما إذا كانت جملة القسم اسمية، وكان المقسم به نصًّا فى اليمين، أى مخصوصًا بالقسم مثل (عمر، يمين) فإن الطرف الثانى من الجملة يجب أن يكون محذوفا "ولذلك عندما يكون الباقى من الجملة الاسمية المقسم بها صالحًا لأن يكون خبرًا، قدر حذف المبتدأ وجوبًا، مثل: فى ذمتى لأفعلن، أما إذا لم يكن مخصوصًا بالقسم فقد تذكر الجملة الاسمية كلها مثل "على عهد الله لأفعلن" أو قد يحذف الخبر ويبقى المبتدأ فيقال: "عهد الله لأفعلن[2]."

ولأن جملتى القسم تتعلق إحداهما بالأخرى، ولا تعمل جملة القسم فى جوابه[3]، فإنهما ترتبطان معًا معنويا ولغويا بروابط تربط الجملتين معا، وتأتى هذه الروابط سواء أكانت جملتا القسم اسمية أو فعلية، مثبتة أو منفية، وهذه الروابط من المؤكدات فى أسلوب القسم، **وفيما يلى صور جملتى القسم والروابط التى تربطهما معًا:**

أ – جملة القسم المثبتة. **ب – جملة القسم المنفية.**

أولا: جملة جواب القسم الاسمية المثبتة:

وإن تكن من جمل الأسماء مثبتة فاللام قبل جاء
أو "إن" نحو "قسمي الله لذا أو إنه بر بعيد من أذى[4]"

---

(١)بناء الجملة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: ١٨٥.
(٢)السابق.
(٣)ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى: ٤/ ١٧٦٤.
(٤)شرح الكافية الشافية: ١/ ٨٣٣.

تؤكد جملة جواب القسم الاسمية بـ **(إنَّ واللام) أو(بأحدهما فقط)** نحو: والله إن الإخلاص لنافع، والله إن الإخلاص نافع، والله للإخلاص نافع، ونحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

ثانيًا: جملة جواب القسم الفعلية المثبتة:

وإن تصدر بمضارع ثبت مستقبلا فالنون إياه تلت

واللام قبل، وهي - وحدها- ترد مع حرف تنفيس، وإن حال قصد[2]

يجب توكيد جملة جواب القسم الفعلية المثبتة بالمؤكدات الآتية:

١- بـ **(اللام ونون التوكيد) معا:** إذا كانت جملة الجواب فعلية مضارعية مصدرة بالمضارع، دالة على الاستقبال، نحو: والله لأسافرن، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[3].

٢- بـ **(اللام) وحدها:** وذلك إذا كانت جملة الجواب فعلية مضارعية، ليست مصدرة بالمضارع، نحو: والله لسوف أسافر، وذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[5] من **القسم الدال على الاستقبال فى القرآن الكريم**، أى أن اللام فى هذه الآية هى لام القسم وقيل: "اللام في ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لام ابتداء أكدت مضمون الجملة، ثم حكى بعض ما تقدم عن الزمخشري وأبي علي، ثم قال: "ويجوز عندي أن تكون اللام في" ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وفي ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ اللام التي يُتَلَقَّى بها القسم، عطفهما على جواب القسم، وهي قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾، فيكون هذا قسماً على هذه الثلاثة[6]." وقيل إن افتتاح الجواب بـ (باللام) يأتى إن "كان أول الجملة مضارعًا مثبتًا مستقبلا

---

(١)يس: ٣.

(٢)شرح الكافية الشافية: ١/ ٨٣٣.

(٣)الأنبياء: ٥٧.

(٤)الليل: ٢١.

(٥)الضحى: ٥.

(٦)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ٢٠/ ٣٨٦.

غير مقارن **حرف تنفيس**...وخرج المقارن **حرف تنفيس**، فيكون باللام فقط، قال تعالى:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾، وأجاز البصريون قياسا على سوف: والله لسيقوم زيد، ومنعه الفراء، لتوالي أربع متحركات فيما هو ككلمة، إذ اللام كالجزء، ولذا قالوا: لَهْوَ، بتسكين الهاء كعضد، ورد عليه بقول العرب: والله لكذب زيد كذبا ما أحسب الله أن يغفر له، **وحكم قد حكم سوف**، فيكون باللام فقط نحو والله لقد يقوم زيد[1]." وأجيز دخول اللام دون النون مع الفعل الدال على الاستقبال لأنه فصل بينه وبين الفعل بفاصل، وهو حرف التنفيس "وقال الزمخشري: "فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على "سَوْفَ"؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف، تقديره: وأنت سوف... وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم، أو ابتداء، فلام القسم لا تدخل مع المضارع إلا مع نون التوكيد، فبقي أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلاَّ على الجملة من المبتدأ، والخبر، فلا بد من تقدير مبتدأ، وخبره، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك". ونقل أبو حيَّان عنه، أنه قال: "وخلع من اللام دلالتها على الحال" انتهى. وهذا الذي رده على الزمخشري، يختار منه: أنها لام القسم ، وقوله: "لا يدخل مع المضارع إلا مع نون التوكيد"، **استثنى النحاة منه صورتين**:

إحداهما: أن لا يفصل بينها وبين الفعل حرف التنفيس كهذه الآية، وكقولك: "والله لسأعطيك".

والثانية: ألاَّ يفصل بينهما بمعمول الفعل، كقوله: (لإِلَى الله تُحْشَرُونَ) [آل عمران: ١٥٨][2]." وذكر محيى الدين درويش أن اللام للقسم فقال: "وقيل: اللام للقسم وأنه إذا حصل فصل بين اللام والفعل امتنعت النون وثبتت لام القسم[3]." وذكر الدكتور فاضل السامرائى **أن هناك فرقًا بين القسم الصريح وما أكد بالنون أو باللام الموطئة**، وهو:

---

(١)المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٣١٦-٣١٧، وذكر ذلك السيوطى فى همع الهوامع على جمع الجوامع: ٢/ ٣٩٧.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ٢٠/ ٣٨٥، والكشاف: ٦/ ٣٩١-٣٩٢.

(٣)إعراب القرآن وبيانه لمحيى الدين الدرويش: ١٠/ ٥١٠.

١- "أن ما ذكر فيه القسم الصريح آكد مما لم يذكر فيه القسم صراحة وذلك لأنه توكيد وزيادة كما أسلفنا.

٢- أنه فى القسم الصريح يقصد لفظ المقسم به ويراد كما يقصد جوابه فالقول (والله) أو (ورب الكعبة) أو (والضحى) أو (والذاريات) أو (والمرسلات) وغير ذلك مما يقسم به يراد لفظ المقسم به لأمور بلاغية أو تعظيمية أو غيرها كما يراد جوابه. **وأما ما لم يذكر فيه المقسم به فالمراد منه هو الجملة المؤكدة فحسب.**

٣- ينبنى على ذكر المقسم به صراحة أحكام شرعية كالبر والحنث والصحة والبطلان مما لا يكون فيما يسمونه بالقسم المضمر، فالقسم بغير الله باطل. ومن أقسم بالله ولم يبر قسمه فهو باطل. ومن أقسم بالله ولم يبر بقسمه فهو حانث وعليه كفارة اليمين بخلاف **المؤكد توكيد القسم** فإنه لا يجري عليه حكم اليمين. فإذا قلت: والله لأزورنه الليلة ثم لم تزره، كنت حانثا في يمينك وعليك كفارة اليمين. وإن قلت: لأزورنه الليلة ولم تزره، لم تلزمك الكفارة وإنما أكدت الوعد توكيد اليمين. فتبين مما ذكرت أن **ما أكد باللام أو ما سبق باللام الموطئة ليس قسما والله أعلم**[1]."

والخلاصة أن ما سبق باللام الموطئة وما سبق بـ (لقد أو لسوف) ليس قسما وإنما الغرض منه التوكيد فى غير القسم، وإلا فإن كل كلام مثبت نريد أن نؤكده فإننا يجب إن نقسم عليه، أى أن هناك فرقا بين القسم والمؤكد توكيد القسم.

٣- أو ليست دالة على الاستقبال، نحو: والله لأسافرن الآن.

٤- **بـ (اللام) وحدها:** ولكنها جملة فعلية ماضية فعلها جامد، نحو: والله لنعم الرجل محمد.

٥- **بـ (اللام وقد):** وذلك إذا كانت جملة الجواب فعلية ماضية ذات فعل

---

(١)معانى النحو للدكتور فاضل السامرائى: ٤/ ٥٦٣.

متصرف، نحو قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[1].

ثانيًا: جملة جواب القسم الاسمية المنفية: من أدوات النفى التى تسبق جملة جواب القسم: ما، لا، إنْ، وندر النفى بلم ولن[2]، سواء فى ذلك الجملة الاسمية، والفعلية، مثل: (والله **ما** جاء زيد - والله **ما** زيد مسافر - والله **لا** أخونك - والله **لا** زيد عندنا و**لا** عمرو - والله **إن** أعرف شيئًا - والله **إن** زيد مسافرا)، ومن ذلك قول امرئ القيس:

والله لا يذهب شيخى باطلا حتى أُبير مالكا وكاهلا[3]

ولا يجوز توكيد جملة القسم المنفية بشىء، إلا أن يكون (الباء) أو (من) الزائدتين، نحو: (والله ما زيد بمسافر) و(والله ما جاءنا من أحد)[4]."

حذف جواب القسم:

يجوز حذف جواب القسم إن جاء بعده ما يدل عليه، كما فى حذف الجواب فى قوله تعالى:"﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ الآيات [النازعات: ١-٥] أي: لتبعثن.﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[ص:١] أي إنه لمعجز﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] أي ما الأمر كما زعموا[5]." ويجب حذف جواب القسم إن سبق القسم أو اكتنفه ما يدل على جوابه، نحو زيد قائم والله، زيد - والله - قائم.

---

(١)يوسف: ٩١.

(٢)ذكر ذلك ابن مالك فى شرح التسهيل: ٣/ ٢٠٧، وذكر لفظ (شذ) فى المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها:٢/ ٨٤، واستشهد بقول أبى طالب(من بحر الكامل):

والله لن يَصلوا إليكَ بجمعِهِمْ حتى أُوَسَّدَ في التراب دَفينا

وقال عنه ابن مالك فى شرح الكافية الشافية:٢/ ٨٤٨-٨٤٩ إنه فى غاية الغرابة.

(٣)البيت من ديوان امرئ القيس (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)(بحر الرجز):١٣٤، أبير: أهلك، ومالك وكاهل من بنى أسد.

(٤)أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى ولغة الحديث الشريف: ٢٠-٢١، والنحو الوافى: ٢/ ٥٠٢.

(٥)الإتقان فى علوم القرآن: ٥/ ١٦٣٦.

والجدول التالى يبين صور جملة جواب القسم الاسمية والفعلية بنوعيها[1]:

إذا كان الجواب جملة فعلية ، فعلها:	المثال	ملاحظات
ماض متصرف مثبت	– والله **لقد** سعد المؤمنون بنصر الله.	**يجب** توكيدها ب"اللام" و"قد".
ماض جامد مثبت	– والله لنعم الرجل محمد.	تؤكد باللام وحدها
ماض منفى بـ: ما : لا : إنْ	– بالله **ما** أفلح مفسد. – بالله **لا** رفضت العفو عند المقدرة. – تالله **إن** ندمت على عمل الخير.	(ما نافية غير عاملة – تنفى حدوث الفعل فى الزمن الماضى). –
مضارع مثبت مصدر بالمضارع، ودال على الاستقبال.	– ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٧ – والله لأسافرن.	**يجب** توكيدها باللام ونون التوكيد.
مضارع مثبت غير مصدر بالمضارع، أو دال على الاستقبال.	– والله لسوف أسافر. – والله لأسافرن الآن.	**يجب** توكيدها باللام فقط.
مضارع منفى بـ: ما : لا : إن	– والله **ما** أقصر فى نصرة الدين. – والله **لا** أقصر فى نصرة الدين . – والله **إن** أقصر فى نصرة الدين .	(ما نافية غير عاملة تنفي حدوث الفعل المضارع وتخلصه للحال أى الحاضر). –
مثبتة (غير منفية)	– ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يس: ٣ – والله **إنَّ** التقوى سبيلُ الجنة. – والله للتقوى سبيلُ الجنة.	–الأفصح اقترانها بـ (إنَّ، ولام الابتداء). – **ويجوز** الاقتصار على "إنَّ" أو اللام دون الجمع بينها.

(١)ينظر المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها:٢/ ٨٤-٨٦، وأسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلى والحديث الشريف:٢٠-٢١، والنحو الوافى: ٢/ ٥٠٢.

إذا كان الجواب جملة فعلية ، فعلها:	المثال	ملاحظات
منفية بـ (ما – لا – إنْ).	– والله **ما** الطلاب بمتفوقين إلا بالتقوى. – والله **لا** النهام بمحبوب. – والله **إن** المال بنافع إلا بكسبه من حلال.	لا تقترن بـ (إن) أو (اللام).
جملة مكونة من ليس واسمها وخبرها.	– والله **ليس** الكذب من صفات المؤمنين.	لا يقترن باللام أو "قد".

علاقة الحروف المقطعة بالقسم فى القرآن الكريم:

وردت كثير من الأقسام فى القرآن الكريم بعد الحروف المقطعة فى أوائل السور، وهنا يطرح سؤال: **هل كان العرب يبدءون كلامهم بالحروف المقطعة؟ لا**، لم يبدأ العرب – فيما قرأت – كلامهم بالحروف المقطعة، يعني ما كانوا في البداية يقولون: (الم، أو حم،...) ثم يبدءون كلامهم، فهذا أمر جديد على العرب، وخصوصية جديدة ظهرت فى كتاب الله – عز وجل – الذى أراد أن يعرف الناس أن هناك أمرا مهما يأتى بعد هذه الحروف، وازداد الأمر أهمية بعد أن تلى هذه الحروف أسلوب القسم، والقسم نوع من أنواع التوكيد، فهذا أمر جديد على العرب فما الحكمة من ابتداء القرآن الكريم بهذه الأحرف، وما الحكمة من مجيء القسم بعد هذه الحروف؟

آراء العلماء فى تأويل الحروف المقطعة:

قيل إنها: (**أسماء الله** أُقْسم بها لشرفها وفضلها، أو أنها **أسماء للسور**، أو أنها **فواتح للتنبيه**، أو الاستئناف ليعلم أن الكلام الأول قد انقضى، أو أنها **أسماء عبر بها عن حروف المعجم** التى ينطق بها بالألف واللام منها فى نحو: قال، والميم فى ملك، أو أنها **حروف تدل على مدة الملة**، أو مدة الأمم السالفة، أو مدة الدنيا، أو **كل حرف منها يدل على مدة قوم وآجال آخرين**، أو **أنها قسم**)، وقيل: "هي إشارة إلى حروف المعجم كأنه قال للعرب: إنما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتم[1]." وقيل

(١)البحر المحيط:١/ ١٥٦-١٥٧، وانظر الدر المنثور:١/ ١٢٢، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٨/ ١٤٧، التبيان فى أيمان القرآن:٢٩٩.

إن هذه الحروف أقسام أقسم الله بها **فى أول ثمان وعشرين سورة**، وأن هذه الأقسام لم تأت إلا فى أوائل السور: "القسم بالحروف لم يوجد ولم يحس إلا فى أوائل السور، لأن ذكر ما لا يفهم معناه أثناء الكلام المنظوم يخل بالفهم[1]."، **وقيل إنها لإقامة الحجة**: "إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم فيستمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة. **وقيل: هي أمارة لأهل الكتاب** أنه سينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتاب في أول سور منه حروف مقطعة، **وقيل: حروف تدل على ثناء أثنى الله به على نفسه**[2]."

إعراب الحروف المقطعة:

اختلف الناس في إعرابها حسبما اختلفت أقوالهم فيها "تكلم المعربون على هذه الحروف فقالوا: لم تعرب حروف التهجي لأنها أسماء ما يلفظ، فهي كالأصوات فلا تعرب إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها فإنك تعربها، ويحتمل محلها الرفع على المبتدأ أو على إضمار المبتدأ، والنصب بإضمار فعل، والجر على إضمار حرف القسم، هذا **إذا جعلناها اسماً للسور**، وأما **إذا لم تكن اسمًا للسور فلا محل لها**، لأنها إذ ذاك كحروف المعجم أوردت مفردة من غير عامل فاقتضت أن تكون مستكنة كأسماء الأعداد، أو ردتها لمجرد العدد بغير عطف، وقد تكلم النحويون على هذه الحروف على أنها أسماء السور، وتكلموا على ما يمكن إعرابه منها وما لا يمكن، وعلى ما إذا أعرب فمنه ما يمنع الصرف، ومنه ما لا يمنع الصرف[3]."

صور الحروف المقطعة فى فواتح السور:

من الأقسام التى أعقبت الحروف المقطعة فى أوائل السور - القسم بالقرآن، أو الإخبار عنه إلا فى موضعين (سورة مريم – سورة القلم): "الصحيح أن "ن" و"ق" و"ص" من حروف الهجاء التي يفتتح الرب - سبحانه - بها بعض السور،

---

(١)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ١٤٧.

(٢)البحر المحيط:١/ ١٥٧.

(٣)البحر المحيط :١/ ١٥٦، روح المعانى للألوسى: ١/ ١٠٤.

وهي: أحادية، وثنائية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية، ولم تجاوز الخمسة، ولم تُذكر - قط - في أول سورة إلا وعقِبَها يُذكرُ القرآن؛ إما مقسما به، وإما مخبرًا عنه، ما خلا سورتين: سورة "كهيعص" و"ن".[1]" **وتفصيل هذه الحروف كالتالى:**

١- منها ما جاء على حرف واحد، وذلك فى ثلاث سور: **(ن، ق، ص).**

٢- ومنها ما جاء على حرفين:

أ- (حم) فى سبع سور: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف).

ب- (طه) فى سورة واحد: (طه).

ت- (طس) فى سورة واحدة: (النمل).

ث- (يس) فى سورة واحدة:(يس).

٣- ومنها ما جاء على ثُلاثة أحرف:

أ- (الر) فى خمس سور: (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر).

ب- (الم) فى ست سور: (البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة).

ت- (طسم) فى سورتين: (الشعراء، القصص).

٤- ومنها ما جاء على أربعة حروف:

أ- (المص) فى سورة واحدة: (الأعراف).

ب- (المر) فى سورة واحدة: (الرعد).

٥ – ومنها ما جاء على خمسة حروف: (كهيعص) فى سورة واحدة:(مريم).

وبذلك تكون السور التى افتتحت بحروف مقطعة هى **تسع وعشرون سورة،** وتمثل هذه الحروف نصف حروف المعجم، واجتهد العلماء فى تأويلها، فقيل: إن"أكثر السور التي وقعت فيها هذه الحروف: السور المكية عدا البقرة وآل عمران،

---

(١)التبيان فى أيمان القرآن:٢٩٩.

والحروف الواقعة في السور هي ا، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، ه، ي، بعضها تكرر في سور وبعضها لم يتكرر وهي من القرآن لا محالة ومن المتشابه في تأويلها[1]."، وجمعت فى جمل: "يجمعها قولك: "نص حكيم قاطع له سر" وجمعها السهيلّ في قوله: "الم يسطع نور حق كره". وهذا الضابط في لفظه ثقل، وهو غير عذب فى السمع ولا فى اللفظ ولو قال:" لم يكرها نصَّ حق سطع" لكان أعذب. ومنهم من ضبط بقوله: "طرق سمعك النصيحة"،"وصن سرا يقطعك حمله"،"وعلى صراط حق يمسكه". وقيل:"مَنْ حِرِصِ على بطِّه كاسر" وقيل :"سر حصين قطع كلامه[2]."

هذه الحروف سر من أسرار الله – عز وجل – اجتهد العلماء فى تفسيرها، فقيل إنها فواتيح وفواصل، أو أنها من أسماء الله، وأنها قسم أقسم الله – عز وجل – به:"(الم)، و: (المص)، و:(الر) و:(المر)، و: (كهيعص)، و:(طه)، و: (طس)، و:(يس)، و: (ص)، و: (حم)، و: (ق)، و:(ن). قال: هو قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله[3]."

---

(١)التحرير والتنوير:١/ ٢٠٦.

(٢)البرهان فى علوم القرآن: ١/ ١٦٧.

(٣)الدر المنثور فى التفسير بالمأثور:١ / ١٢١-١٢٢.

المبحث الثالث

العناصر السياقية وأثرها فى القسم القرآنى

للكلمة المفردة معنى فى المعجم، ولها معان أخرى تعرف من خلال السياق؛ فالسياق هو الذى يكسب الكلمة المعنى، أى لا معنى للكلمة خارج السياق، فما المراد بالسياق؟

السياق لغة:

تدور مادة (سوق) فى اللغة بين التتابع والاتصال، ودارت المادة بين سوق الإبل وتساوقها من التتابع، ومنه سوق المهر وسوق الروح، وكلها يدور فى التتابع والاتصال "ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد للمبالغة...**وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت**، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة... والمُساوَقة: المُتابعة كأنّ بعضَها يسوق بعضاً. والأصل في تَساوَقُ تتَساوَق كأَنَّها لضعفِها وفَرْطِ هُزالِها تتَخاذَلُ ويتخلَّفُ بعضها عن بعض. وساقَ إليها الصَّداق والمَهرَ سِياقاً. وأَساقَه، وإن كان دراهمَ أَو دنانير، لأن أَصل الصَّداق عند العرب الإبلُ، وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما. وساقَ فلانٌ من امرأته أي أعطاها مهرها. والسِّياق: المهر[1]."، وقيل: "سياق الكلام. تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[2]." وقيل إن "السياق: **نزع الروح**. يقال: رأيت فلانا يسوق، أي ينزع عند الموت[3]."

---

(١)لسان العرب، مادة (سوق): ١٠/ ١٦٦، المفردات فى غريب القرآن: ٢٤٩.

(٢)المعجم الوسيط، مادة (سوق): ١/ ٤٦٥.

(٣)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (سوق): ٤/ ١٥٠٠.

السياق اصطلاحا:

ذكر **الزركشى** أن المراد بالسياق **الغرض الذى سيق الكلام من أجله**، فقال: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز ولهذا ترى **صاحب الكشاف** يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح[1]."

وقيل إن **المراد بالسياق هو السابق واللاحق: "قرينة السياق هى ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه**[2]." وقيل هو التتابع والتواصل، "الغرض الذى تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه أو السامع[3]."

من الملاحظ أن هناك تناسبًا بين التعريف اللغوى والتعريف الاصطلاحى، حيث يلزم تتابع الكلام واتصاله بين السابق واللاحق، ولا يخرج القسم عن سياق الآيات التى ورد فيها أو سياق السورة ككل، كما أنه يرتبط بسياق القرآن الكريم كله. وتميز السياق القرآنى فى - أسلوب القسم - بوجود دليل على صدق جواب القسم، ويأتى هذا الدليل سابقًا للقسم أو لاحقًا له فى إطار السورة أو القرآن الكريم كله.

وقيل إن المراد بالسياق هو الغرض الذى ورد الكلام لأجله: فلا يسوق المتكلم كلامه إلا لغرض معين، كما قال ابن القيم فإن الألفاظ لا تقصد لذواتها "فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإيماءة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية[4]."،

---

(١)البرهان فى علوم القرآن:١/ ٣١٧، والإتقان فى علوم القرآن:٢/ ١٢٢٢.

(٢)حاشية العطار على جمع الجوامع:١/ ٣٠.

(٣)دلالة السياق وأثرها فى توجيه المتشابه اللفظى فى قصة موسى عليه السلام:٢٩.

(٤)إعلام الموقعين عن رب العالمين:١/ ٢١٨.

وجاء القسم فى القرآن الكريم لأغراض كثيرة، منها (إثبات البعث، أو تقرير أمر النبوة، تأكيد التوحيد، التعرف على أحوال الناس ...

- **وقيل هو حال المتكلم، وحال المتكلم عنه، وألفاظ الخطاب وتراكيبه** الذى يهتم بالمفردات وتضمين بعضها بعضا، ونظم الجمل وعلاقتها بعضها ببعض، وفى القسم القرآنى تتضح شخصية المتكلم من عناصر القسم، وأدوات التوكيد التى وردت فى أسلوب القسم.

أنواع السياق:

ينقسم السياق إلى نوعين: **سياق اللغة**، وهو ما يهتم بالكلمة أو الجملة وما قبلها وما بعدها، **وسياق الموقف**، وهو ما عرفه الدكتور تمام حسان بأنه "الوجه الذى تتمثل فيه الأحداث العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[1]." وهناك أنواع أخرى للسياق، منها (سياق الآية، سياق النص، سياق السورة، سياق القرآن الكريم كله). والمراد بـ (سياق الآية) أى سياق الآية أو الآيات التى ورد فيها القسم، كما فى اسم الإشارة فى آيتى القسم فى سورة الأنعام الآية ٣٠، وفى الآية ٣٤ من سورة الأحقاف، فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[2] واسم الإشارة فى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[3]، فاسم الإشارة فى الآية الأولى من سورة الأنعام يشير إلى مرحلة سابقة من مراحل الحساب يوم القيامة، وفى الآية الثانية يشير اسم الإشارة إلى مرحلة تالية لها، وسيتضح هذا الأمر بالتفصيل فى تناول هاتين الآيتين فى البحث بإذن الله.

---

(١)اللغة العربية معناها ومبناها:٣٣٧.

(٢)الأنعام: ٣٠.

(٣)الأحقاف: ٣٤.

- الاستدلال على السياق فى القرآن الكريم **بأسباب النزول**، فإن سبب النزول قد يتبين فى سياق الآية أو الآيات، ويستدلون على السياق أحيانا بما يحف به من **القرائن والأحوال** التى تبين المقصود مع ما يبينه اللفظ[1].

- **وهناك "السياق المكانى"**، ويعنى سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق.

- **والسياق الزمنى للآيات**، أو **سياق التنزيل**، ويعنى سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

- والسياق الموضوعى، ويعنى سياق الآية أو الآيات التى يجمعها موضوع واحد، وهناك **السياق المقاصدى**، ويعنى المقصد من الآية فى القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالَج، وهناك السياق التاريخى، ويعنى سياق الأحداث التاريخية التى رواها القرآن الكريم[2]."

أهمية السياق فى فهم المعنى: اهتم العرب بالتركيب لأنه يكشف عن المعنى فى سياقه، كما أن للسياق أهمية كبيرة فى الدلالة على المحذوف، وذكر ابن عصفور علاقة السياق بالتركيب فقال: "ألا ترى أن الكلام الذى تكون فيه "من" مبعضة، لا تكون فيه لابتداء الغاية[3]."

استخدام النبى - صلى الله عليه وسلم - للسياق فى فهم المعنى: عن السيدة عائشة رضى الله عنها، قالت: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[4] قالت عائشة: هم الذين يشربون

---

(١)دلالة السياق وأثرها فى توجيه المتشابه اللفظى فى قصة موسى عليه السلام: ١٤-٢١ بتصرف.

(٢)مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – بحث (السياق وأثره فى الحكم على أسباب التنزيل – دراسة نظرية وتطبيقية للدكتور سليمان على عامر الشعيبى) - العدد ٩٠- السنة ٢٧- سبتمبر ٢٠١٢م: ٢٤٧ بتصرف.

(٣)شرح جمل الزجاجى لابن عصفور: ١/ ٨٩.

(٤)المؤمنون: ٦٠.

الخمر ويسرقون، قال: (لا يا بنت الصديق؛ ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم) أولئك الذين يسارعون في الخيرات[1]." وهذا يعنى الرجوع إلى السياق من خلال اللاحق للآية فى قوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[2] لمعرفة المعنى.

السياق عند المفسرين:

اهتم المفسرون بالسياق القرآنى لمعرفة مراد المشرع من النص، وقد فسر الزركشى فى البرهان دور السياق فى فهم المعنى القرآنى الذى لم يرد فيه نقل عن المفسرين، فقال: "ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب "المفردات" فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق[3]." ، كما اهتم **الزركشى** بدلالة السياق، فقال: "فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط فى نظيره، وغالط فى مناظرته، وانظر فى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[4] كيف نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[5]." واهتم المفسرون بالرجوع إلى السنة المطهرة لتفسير القرآن فى بعض الأمور استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ ... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

---

(١)الجامع الصحيح سنن الترمذى – باب ٢٣ والآية من سورة المؤمنون: ٦٠ – رقم الحديث ٣١٧٥ : ٥/ ٣٢٧، ينظر دلالة السياق وأثرها فى توجيه المتشابه اللفظى فى قصة موسى عليه السلام – دراسة نظرية تطبيقية: ٥٠.

(٢)المؤمنون: ٦١.

(٣)البرهان فى علوم القرآن:٢/ ١٧٢.

(٤)الدخان: ٤٩.

(٥)البرهان فى علوم القرآن:٢/ ٢٠٠-٢٠١.

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]، واهتم المفسرون بأسباب النزول وعولوا على دورها فى معرفة المعنى والحكمة من التشريع.

العلاقة بين السياق والدلالة:

المقصود بالدلالة: بيَّن الأصفهانى المراد بالدلالة، فقال: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى:

﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾[2] أصل الدلالة مصدر كالكناية والأمارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره[3]."، وقال صاحب اللسان: "الدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به. والدَّلِيل: الدَّالُّ. وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أَعلى... والدَّلِيل والدِّلِّيل: الذي يَدُلُّك... والجمع أَدِلَّة وأَدِلاَّء، والاسم الدِّلالة والدَّلالة، بالكسر والفتح[4]."

أهمية السياق فى تحديد الدلالة: ذكر أبو هلال العسكرى ذلك فقال:"وأما ما

---

(١)الحشر: ٧، ونقل صاحب أضواء البيان نماذج من تفسير القرآن بالقرآن فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩، لم يبين هنا أنواع هذه الأنهار، ولكنه بين ذلك في قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ محمد: ١٥." أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦٧.

(٢)سبأ: ١٤.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (دل): ١٧١.

(٤)لسان العرب، مادة (دلل): ١١/ ٢٤٧- ٢٤٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٤/ ١٦٩٨، معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٥٩.

يعرف به الفرق بين هذه المعانى وأشباهها كثيرة منها ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما[1]." وأفاد المفسرون من النظر فى سياق السورة الواحدة لاختيار الوجه الراجح فى تفسير جملة واردة فيها.

تعريف علم الدلالة: علم الدلالة بفتح الدال وكسرها هو علم دراسة المعنى كما ذكر الدكتور أحمد مختار عمر بأنه: "العلم الذى يدرس المعنى"أو" ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"أو" ذلك الفرع الذى يدرس الشروط الواجب توافرها فى الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى[2]."، أى أن **هناك علاقة بين السياق والدلالة**، حيث إن دلالة السياق "ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم[3]." **فالسياق هو الموجه لعلم الدلالة**، حيث يقوم في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة، واهتم العلماء العرب بدور السياق فى فهم المعنى فذكر عبد القاهر الجرجانى "أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك[4]."، واهتم العلماء بـ **(نظرية السياق)** والتى تهتم بدراسة معانى الكلمات من خلال تحليل السياقات والمواقف التى ترد فيها، اللغوى منها وغير اللغوى، لأن الكلمة يتعدد معناها بتعدد السياقات التى ترد فيها، وفى هذا البحث **(القسم فى القرآن الكريم – دراسة فى العناصر التركيبية والسياقية)** يحاول الباحث أن يتوصل إلى معانى عناصر القسم فى سياقها منطلقا من المعنى المعجمى حتى لا يفصل بين المعنى المعجمى والمعنى السياقى للكلمات.

"لقد أدرك علماء العربية القدامى أهمية السياق فى تحديد الدلالة فلا تجد أصوليًّا

---

(١)الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى:١٦.

(٢)علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر:١١.

(٣)البرهان فى علوم القرآن: ٢/ ٢٠٠.

(٤)دلائل الإعجاز:٥٩.

ولا لغويًّا إلا أشار إلى ذلك عند كلامه عن الدلالة[1]." وعقد الإمام الشافعى بابا فى كتابه الرسالة بعنوان: "الصنف الذي يبين سياقه معناه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٣ يقول الإمام الشافعى تعليقا على الآية: دل على أنه أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان فى السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون[2]." فهذه إشارة إلى إدراكهم لقيمة السياق فى تحديد المعانى.

العلاقة بين التركيب والسياق:

من الملاحظ فى أسلوب القسم فى القرآن الكريم أن هناك أقسامًا متشابهة من حيث التركيب (فى كل أركان القسم)، لكن عند الرجوع إلى السياق يتضح أن بينها اختلافا كبيرا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[4] فالاستفهام والقسم فى الآية الأولى (آية سورة الأنعام) يتشابه مع الاستفهام والقسم فى الآية الثانية (آية سورة الأحقاف)، لكن السياق يبين أنهما مختلفان فى المعنى، وهذا ما سيتضح عند تناوله فى الفصل الثالث بإذن الله.

وكذا فى أجوبة القسم للأقسام التى جاء فيها المقسم به جمع مؤنث، حيث

---

(١)علوم اللغة – المجلد السادس – العدد الرابع ٢٠٠٣م بحث (مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره فى تحديد العلاقات الدلالية والأسلوب للدكتور رجب عثمان محمد) ٢٠٠٣: ٩٥، والرسالة للشافعى:٦٢.

(٢)علوم اللغة – المجلد السادس – العدد الرابع ٢٠٠٣: ٩٥، والرسالة للشافعى:٦٢.

(٣)الأنعام: ٣٠.

(٤)الأحقاف: ٣٤.

اجتمعت فيها بعض الخصائص جعلتها متشابهة من حيث التركيب، إلا أن سياقها يبين أن بينها فروقا واضحة، يتم تناولها فى الفصل الثانى، فى القسم بصيغة جمع المؤنث السالم.

كما يلاحظ أن **العناصر التركيبية للقسم تختلف من سياق إلى آخر باختلاف السياق**؛ فالمقسم (المتكلم) فى أغلب أقسام القرآن هو الله عز وجل، ولله أن يقسم بما شاء على ما شاء، وأن ذلك مرتبط بالمخاطب بالقسم؛ ولذلك يلاحظ أن هناك فروقا بين القسم الموجه إلى الكفار والقسم الموجه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فالقسم الأخير يتضح فيه التلطف والتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم - لذا كان الله عز وجل يخاطبه بإضافته إليه بضمير المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾[3]. أو **بضمير المتكلم** نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[5] وغيرها.

كما يتضح ذلك فى أجوبة القسم أيضًا، حيث يلاحظ وجود أجوبة للقسم متشابهة من حيث التركيب، كما فى أجوبة القسم فى الأقسام التى جاءت بصيغة جمع المؤنث السالم، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ

---

(١)النساء: ٦٥.
(٢)الحجر: ٩٢.
(٣)مريم: ٦٨.
(٤)يونس: ٥٣.
(٥)التغابن: ٧.
(٦)الصافات: ٤.

لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3]، ولكن عند النظر إلى السياق يتضح أن هناك فروقًا واضحة سيتم تناولها فى الفصل الثانى فى (**المبحث الأول: القسم بجموع الإناث فى افتتاح السور القرآنية**) بإذن الله.

---

(١)الذاريات: ٥ - ٦.

(٢)المرسلات: ٧.

(٣)العاديات: ٦ - ٨.